فيض الوهاب

فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب

بقلم

علامة عصره ووحيد دهره

الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سليمان

« الشهير بالقليوبى »

أحد أعلام الأزهر الأعلام ، الخادم للسنة المطهرة
الذى تنتهى إليه أسانيد السنة جمعاء فى هذا العصر
والذى لم يسبقه أحـــد فى شرح جامع الأصــول
لأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الأثير

الجزء الثانى

سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية



الباب الثانى

فى تفصيل الرد وفيه فصول

الفصل الأول

فى الرد على شبهة من يقول : بأن لله تعالى جهة ومكاناً ! !

من قولهم : فوق العرش ؟! وفى السماء ؟! من جميع فرق الضلال من المسلمين وغيرهم وهى أول الشبه المحصورة المتقدمة

نقول : غير خاف على من نوّر الله تعالى بصيرته ، وميّز بين الحق والباطل ، والضلال والهـدى ، وله أدنى اطلاع على كتب المتقدمين والمتأخرين .

ان أول من جمع وأظهر ما كتب فى كتب الحرورية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والقدرية ، وغيرهم ممن خالفوا اجماع المسلمين ، وحادوا عن الجادة والطريق المستقيم ، هو ذلكم الذى اتخذوه اماما لهم ، وعمدة لما تسمعه الآن ممن يدعون الى الزيغ ، والبهتان ، ومخالفة الاجماع ، وأهل الحق من علماء المسلمين ، وقد مال الى ذلك ونزع اليه من نشأته الى مماته ، وكان علماء عصره كلما سمعوا أنه كتب رسالة فى المخالف ، أجمعوا على طلب محاكمته ، فيودع بها السجون ، حتى يعلن توبته وبراءته مما كتبت يداه ، فيفرج عنه ويؤمر بمغادرة هذه الجهة ، فينتقل الى جهة أخرى ، فيحدث بها أمرا مخالفا أيضا فى أمر آخر فى الدين ،

فيودع بسببه السجن ، وهكذا حتى قضى حياته سجينا ، ومات بأحد تلك السجون . وأحد تلامذته الذى سجن معه أخيرا ، لم يخرج من السجن الا بعد دفن شيخه ، واعلان توبته التى ظاهرها موافقة المسلمين .

وكانت تلك الرسائل التى كان يعاقب عليها بهذه الذلة والهوان تحفظ عند من نشئوا على نشأته ، وشربوا من مشربه ، حتى كانت توزع بينهم سرا خشية أن يعلم بها أحد من أهل الحق ، اعجابا برأيه المخالف الذى يظهر لهم أنه من ذكائه ونبوغه ، وهم يجهلون ما اطلع هو عليه فى جولاته وبحثه عن المخالف لا غير ، وأخذ عنه ومنه ووصل اليه من كتب المخالفين وضلوا بها فى فهم معني كلام رب العالمين وسنة سيد المرسلين وكان لا يعجبه الا الكتاب المخالف لاجماع المسلمين وها هو ذا — رد الدارمى على تلميذ بشر المريسى — المطبوع بمطبعة أنصار السنة سنة ١٣٥٨ هـ يقول : المشرف على طبعه ان الامام كان يمتدح هذا الكتاب ويحث على الاطلاع عليه وقراءته — وهو من أشنع كتب المخالفين اذ أثبت فيه مؤلفه ان الله تعالى فى السماء ولا يصح أن يتصل بالحشائش والقاذورات . ويقول المشرف على طبعه فى تعليقه « أليس من له جهة خيرا ممن ليس له جهة ؟ » .

فاعلم أنهم على مبدأ واحد لاحقهم كسابقهم عصم الله الأمة الاسلامية من شرورهم .

وهنا يجدر بنا أن نذكر ان أحد العلماء أذاع فى الراديو بتاريخ ١٩٥٥/١/٦ أن عمل الغير لا ينفع الغير مستدلا بقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقال وأطنب الىَ أن قابلته فقلت له ، أذعت كذا وكذا . يظهر انك لم تصلّ على أحد من موتى المسلمين . ولم شرعت صلاة الجنازة على يد من أسند الله تعالى لحضرته البيان والتبيين . أليس

ذلك كافيا فى أن عمل الغير ينفع الغير وسيأتى الكلام فى هذا الموضوع .

واعلم ان امامهم قد ضل فى معرفة أصل أصول العقائد الاسلامية ؟ وهى معرفة الله تعالى بالقدر الممكن للبشر بصفاته الواجبة عقلا ونقلا — ضلالا بعيدا — ولا يخفى عليك ان كل من ضل فى معرفة الله تعالى ضل فى معرفة كل شيء .

واعلم أيضا ان تلك الرسائل التى هى المتكأ لكل داعية لهذا المبدأ كانت لا تظهر فى الأزمان الماضية ليقظة أهل الحق وقلة الفاسدين من المجتمع الذين فيهم الاستعداد لقبول الشر وكان الدعاة منهم فى تلك الأزمنة ينتهزون الفرص . وكل من يدعو بها يلاقى جزاءه جزاء أوفى . وقد ذكرت لك المثل المشهور « لكل نمروذ ابراهيم . ولكل فرعون موسى . ولكل ضال محمدى » حتى أتاحت لهم الفرص الظهور على يد من أضله الله تعالى وجهر بالدعوة بها . وهو معروف فى كتب التاريخ وأهم ما يقولون به فى معرفة الله تعالى أنهم يثبتون له تعالى المكان والجوارح كخلقه ، وأنه يتحرك ويسكن ، ونسج على منوالهم كل من كان على هذا المبدأ الفاسد والعقيدة الزائفة الضالة .

فلا ترى لهم كتابا فى معرفة الله تعالى من السابق الى اللاحق . حتى الآن الا والمبدأ واحد على ما سنبينه لك من كتبهم بالنص الصحيح الصريح .

قال امامهم فى رسالته المسماة « بالعقيدة الواسطية » المطبوعة بمطبعة أنصار السنة باشراف رئيسهم سنة ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م ص ١٦٢ فى ثبوت الجهة والمكان لله تعالى وأنه فوق العرش مستقرا وعدد ما استدل به على ذلك . فى سبعة مواضع من القرآن الكريم فى سورة الأعراف . وفى سورة يونس . وفى سورة الرعد . وفى سورة طه . وفى سورة

الفرقان . وفى سورة الم السجدة . وفى سورة الحديد . الى أن قال فى ص ١٦٩ ما نصه وهو : سبحانه فوق سمواته على عرشه علىّ على خلقه مباين لهم ، الى أن قال : وليس معنى قوله وهو معكم . انه مختلط بالخِلق فان هذا لا توجبه اللغة .

ولا تعجب لجمعه هذه الآيات السبع التى فى القرآن المجيد بخصوص الاستواء على العرش بل هى عادته فى كل استدلالاته . لكل مخالف ليوهم القارىء أنه أتى بها كلها للتأكيد والواقع أن كل آية لها معنى مستقل يغاير الأخرى كما ستعرفه قريبا ان شاء الله تعالى .

واليك نبذة فى عاداته هذه أيضا التى ضلل بها الكثير وهى أنه أتى بجميع الآى التى فى القرآن الكريم التى فهم منها ان الله تعالى فى السماء ولم يفهم أن الله تعالى . قرب المعانى فى هذه الآيات لعقول عباده المؤمنين كما ستعرفه ان شاء الله قريبا .

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القرآن العزيز فى معنى . الاستواء . ثم استوى الى السماء . واستوى على سوقه . واستوت على الجودى . ولما بلغ أشده واستوى .

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القرآن العزيز . التى أراد أن يستدل بها . على أن الله تعالى ينزل ويتحرك ، بجميع آى النزول (وأنزلنا من السماء ماء) تنزل الملائكة والروح . نزل به الروح الأمين . وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد . والميزان . ولكنه لم يقل لنا أين أنزل الله تعالى الحديد حتى نأتى به من مكانه — ولا الأنعـــام فى أى جهة لنأتى بها منها . والميزان . كنا نذهب اليه ونأتى به .

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القرآن الحكيم فى الأولياء — من

شياطين وكافرين . وغيرهم . فى كتابه الفرقان . على ما سنوضحه لك ان شاء الله تعالى .

وهكذا فى جميع مؤلفاته التى لم يفطن لها الا من نور الله بصيرته وشاء هدايته . وابعاده عن فرق الضالين . وأما من نشأه الله تعالى على قبول هذه المعتقدات الفاسدة والمخالفات النابية فانه يعتنقها ويتقبلها بقبول حسن . بل لا يحيد عنها ويعضد أمثاله ممن هو على مبدئه فى تلك العقائد — قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) .

الرد بالعقـــــل

لو كان هذا اللفظ مكررا من مخلوق على العرش على العرش . فى معنى واحد لكان مستقبحا . فكيف يكون من الخالق جل وعلا كذلك ؟ اذن لابد أن يكون لكل آية منها معنى مستقل مناسب للمقام الذى سبقت الآية لأجله .

ولا يجوز أن تتحد معانى الآيات المختلفة فى أسباب النزول وعلى ما سنبينه قريبا . لأن تكرارها لمعنى واحد تعده اللغة لغوا ينبو عنه أدنى أساليب البلاغة ففضلا عن الأسلوب المعجز المتحدى به .

وهذا هو ما فهمه المحققون ، وأجمع عليه العلماء العاملون فصارت دعوى التوكيد هنا مما يتنافى مع أسلوب القرآن الحكيم .

وأيضا نقول له أين كان جل شأنه قبل أن يخلق العرش ؟ وهو الآن أكبر أم العرش أكبر ؟ وعلى كل : فالحامل أكبر من المحمول قوة . فكيف يصلى هذا ومن على تلك المبادىء الخاطئة . ويفتتح صلاته بقوله : الله أكبر !! أين كبره من عرشه الحامل له ؟ هذا وكيف يكون غنيا

سبحانه وهو محتاج الى العرش الحامل له ؟ وما معنى لا اله الا الله : يا شيخ الاسلام يا تقى الدين . يا أبا العباس . يا مجد . يا امام ؟ هل العرش مفتقر الى الله ؟ أم الله تعالى المفتقر اليه ؟ اذن فمعنى استوى على العرش ليس استقر على ما فهم هذا الامام . وهذا أحد أدلتنا العقلية التى هى من فيض الله تعالى ولم يسبقنا بها أحد .

ثم يقول فى هذه الرسالة فى ص ١٦٣ فى اثبات كون الله تعالى فى السماء . مستدلا بقوله تعالى (يا عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ) (بل رفعه الله اليه) — (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) — (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا) . (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) .

نقول له أيضا : من المقرر عقلا ونقلا أن السموات حادثة . وكل حادث له أول وآخر . والله تعالى يا أيها المتابعون لشيخ اسلامكم فيها . أى مظروف . اذن فهى أكبر من الله تعالى ؟ اذ الظرف أكبر من المظروف فكان لزاما عليه وعلى كل ضال مقلد له أن يقول فى صلاته حين الدخول فيها السماء أكبر : لأنها أكبر من الله تعالى . وهو مظروف فيها أصغر منها — وما يقول شيخ الاسلام فى قوله تعالى (يوم نطوى السماء) : أين يذهب جل وعلا ؟ .

ويقول فى الرسالة السابعة ضمن رسائله المطبوعة بمصر بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٣ هـ ص ٢٨٦ : وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ويقول فى هذه الرسالة منكرا على اخوانه الجهمية فى بعض عقائدهم الضالة بأنهم خالفوه اذ يقول فى ص ٢١٣ : أنه تعالى

ليس فوق العرش ولا فوق السموات : كان غرضه أن يوافقوه فى اثبات الجسمية : حيث قال فى الرسالة التاسعة ص ٣٩٥ من هذه المجموعة انه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليٌّ على خلقه :

ثم انه ذكر فى الرسالة الحادية عشرة من هذه المجموعة صفحة ٤١٨ — ٤١٩ فأثبت فيها أن الله فوق العرش ، وفى السماء ، مستدلا بالآيات والأحاديث على ما فهم . فقال : ان الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء ، وعلى كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (انى متوفيك ورافعك الى) (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) .

(أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) (بل رفعه الله اليه) . (تعرج الملائكة والروح اليه) . (يخافون ربهم من فوقهم) (ثم استوى على العرش) فى سبعة مواضع : —

(الرحمن على العرش استوى) (ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا) (تنزيل من حكيم حميد) (منزل من ربك) الى أمثال ذلك مما لايكاد يحصى الا بكلفة .

قال : وفى الأحاديث الصحاح والحسان مما لايحصى مثل : — قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه . ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه . وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم . وفى الصحيح فى حديث الخوارج : « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وفى حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمه أمرك فى السماء والأرض كما

رحمتك فى السماء اجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع . وقال صلى الله عليه وسلم : اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه فليقل : ربنا الله الذى فى السماء . وذكره وقوله فى حديث الأوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عَرشه ، وهو يعلم ما أنتم عليه . وقوله : فى حديث قبض الروح حتى يعرج به الى السماء التى فيها الله اهـ.

أقول لك يا أخى هكذا جميع رسائله يثبت فيها أن الله فوق العرش ، وفى السماء ، ومع خلقه بعلمه بهم ، لأن ذاته فوق العرش وفى كتاب رد الدارمى على تلميذ بشر المريسى : لا يصح أنه تعالى يخالط الحشائش والبهائم والقاذورات .

ويقول المشرف على طبعه فى تعليقه عليه بقوله : أليس من تعرف جهته خيرا ممن لا تعرف له جهة — يعنى انه مؤمن بأن الله تعالى فوق العرش وفى السموات ولست أدرى كيف يعبر هذا الامام عن الحق عز وجل بأن ذاته فوق العرش وفى السماء ؟ مع أننا لم نصل فى المعرفة الى حقيقة آثار صفاته فكيف نعرف صفاته جل وعلا . فضلا عن ذاته حتى نعبر عنها بالجهة والمكان ؟

أنظر يا أخى كيف يعبر هذا الامام ويصف ذات الحق بأنه سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه ؟ يعنى منفصلا عنهم ، مع أنك لا تعقل المنفصل الا اذا كان محدودا ونهاية الحد هى الفاصل بينه وبين المحاذى له فقد وصف الحق عز وجل بصفة الحوادث ، لأنه لا يحد الا الحادث والله تعالى منزه عن الحدود والجهات .

هذا وقد أطبق العقلاء كافة على أنه تعالى لا يوصف بالانفصال

عن خلقه ولا بالاتصال بهم ، لأن الذى يوصف بذلك هو الحادث فقط والله تعالى منزه عن ذلك .

أنظر يا أخى فيما قلت لك سابقا عنه بأنه مضطرب العبارة متضارب الأفكار متعارض المعانى .

وتأمل فيما قدمته لك من جمعه للآيات انه تعالى فوق عرشه فى سمائه مباين لخلقه بذاته ، معهم بعلمه ، فوقهم بمكانه .

وأعرف أنه مع اخوانه الضالين قبله الذين هم على قدم ابليس اللعين ، بأنه يستدل بعقائدهم التى قصها لنا جل ذكره عن عقائد الكافرين ، ومن استهوتهم الشياطين ، فعارضوا المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم فى دعوتهم الى الحق عز وجل قال تعالى حكاية عن فرعون ومن على مبادئه : (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا) .

أخذ هذا الامام الآية دليلا له على أن الله تعالى فى السماء كما ظن فرعون قرينه فى الضلال ، وضم اليها الآيات التى فهم منها أنه تعالى فى السماء كقوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (ورافعك الىّ) (تعرج الملائكة والروح اليه) (أأمنتم من فى السماء) وغيرها من هذه الآيات التى ستأتى :

أليست هذه عقيدة اليهود والنصارى والبهائية والقاديانية والاسماعيلية وغيرهم ومن على قدم ابليس من الضالين الذين أغواهم وحاد بهم عن الجادة والطريق المستقيم ، وصاروا من حزبه أجمعين .

لعلك تفهم أسرار قول الحق عز وجل فى كتابه العزيز حيث قال جل وعلا : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وتتدبر حكم الحكيم العليم فى خلقه ، من أنه أوجدهم على قبول واستعداد الحالتين : الضلالة . والهدى . فمن أغواه واستهواه الشيطان ،

اتجه لكل مبعد عن الطريق المستقيم ، وخالف فيه اجماع المؤمنين ، واستدل من نفس القرآن الكريم على ما فهمه من أنه هو الحق وما عداه مخالف للمعنى المراد من كلام رب العالمين ، ولو كان موافقا لعقيدة الكافرين .

فانظر يا أخى الى هذا الامام الذى يأخذ من القرآن الكريم ما يستدل به على عقائد الزائغين المخالفين ويكون معهم ضد اجماع المسلمين على أن الله تعالى فى السماء ميلا عن الحق وارضاء لشهوة نفسه حبا للظهور ولو بالمخالف لاجماع المسلمين ، وبيان سيد المرسلين ، ولم يفطن أن هذا يوافق عقائد الكافرين ومن هم على عقائد ابليس اللعين ، ضد بيان الحق عز وجل لأنبيائه والمرسلين .

فتعرف من هنا ، أنهم ضلوا واستدلوا على ماهم عليه من القرآن والسنة بمقتضى تفهماتهم وتأولاتهم فيما يوافق أهواءهم وميولهم .

فالقرآن الكريم لاشتماله على كل شيء من استدلالات الضالين واستدلالات المهتدين ، مصداق قوله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) (وتبيانا لكل شيء) (وتفصيل كل شيء) فمن كان على الهدى يأخذ منه ويؤول بما يوافق العقل والنقل واجماع المهتدين والضال يجد فيه حاجته ، فيأخذ منه ويؤول على حسب هواه ولا ينظر الى المخالفة ولا يبالى بها ، وهذا من مصداق قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) هذا ما يفهمه من له أدنى مسكة من عقل من متبادر الألفاظ .

الرد بالنقل

واليك الرد عليه من النقل : الكتاب والسنة ، المطابقين لما قدمناه لك من العقل الذى فهمت منه سوء تفهماتهم ، ووجهة ضلالاتهم ، وتباين

مخالفاتهم ، ضد ما أطبق عليه عقلاء الأمة الاسلامية واجماعهم على عكس ما ضلوا به ، وأنهم على الضلال الذى هو ضد الحق .

فنقول : لا يخفى على أى مسلم له أدنى المام بأصول الدين على التواتر والشهرة ، ان الأمة الاسلامية هى المعصومة ، المنوه بشأنها فى قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية . وهذه الأمة تنقسم الى قسمين : —

سلف ، وخلف .

فالسلف هم من صدر الصحابة الى الأربعمائة . والخلف هم من ذلك الى وقتنا هذا .

وقد اشتهر عن السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أنهم يفوضون العلم الى الله تعالى فى جميع المتشابه من آى القرآن الحكيم والأحاديث القدسية ، والنبوية ، أى : فى جميع ما صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مما تشابه لفظه وخفى معناه . يقولون فيه : نؤمن به ، ونصرفه عن الظاهر ، ونفوض العلم المراد منه الى الله تعالى تمسكا بقوله تعالى : (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) .

والخلف : يؤولون جميع ذلك بمقتضى قواعد اللغة العربية التى جاء بها القرآن الكريم ، ووردت بها السنة المطهرة ، فيحملون كل لفظ متشابه على معنى معين توافقه اللغة وينصره العقل السليم ، والنقل المحكم ، استنادا الى قوله تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) اذ عطفوا الراسخون فى العلم على لفظ الجلالة ، وعلى هذا فالأخذ بظاهر المتشابه دون تأويل على أحد الوجهين المذكورين مما اتفقت الملة ، وأجمعت الأمة على زيفه وضلاله ، كما أشار اليه النص فى أمر

المتشابه ، وهو قوله تعالى : (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) .

ومما لا ينكره العقل السليم ، بل والفطرة الالهية ، أن واضع الألفاظ التى يحصل بها التفاهم والتخاطب هو الحق سبحانه وتعالى ، ولمقتضى كماله جعل اللفظ الواحد يحتمل عدة معان ، وجعل لكل معنى منها وضعا مناسبا لا يتعداه ، وأن صرفه الى غيره الذى لا يتناسب مع العقل والنقل والوضع اللغوى معه غير مستقيم ، وأيضا تكون تعديته الى غيره أمرا مخلا بنظم الكلام اللائق بالوضع المناسب له .

وألهم سبحانه وتعالى كل من نهج على ذلك من مختلف لغات وألسنة بنى البشر حسنه وقبوله ، وعلى هذا جاء التنزيل السماوى فى جميع الأديان ، وخاصة خاتم الكتب والأديان . فمن وافق فهمه المعنى المراد من التنزيل من وضع المعنى المناسب للفظ الموضوع له اللائق به كان موافقا للعقل السليم والنقل المحكم . ويكون صاحب هذا الفهم فى عرف الشرع وعقلاء الناس من المهتدين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

ومن نحا الى غيره وأتبع نفسه هواها فيشذ ليظهر بالمخالفة — يسمى من الضالين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه .

اذن لا يخفى على كل ذى عقل ، أن الألفاظ الموضوعة للتخاطب والتفاهم الواحد منها يحتمل عدة معان ، كقولك مثلا : ضع الأمير مكانته فلا يسع السامع الا أن يفهم بأن يوضع فى كل مستلزماته فى الأوضاع اللائقة به .

واذا كان هذا فى كلام البشر فلا يسعنا الا أن نقول فى كلام رب العالمين : انه أعم وأوسع احتمالا ، كما فى قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الىّ) .

فالوفاة لها ثمان معان على ما ذكره الألوسى من اللغة وعليه الاجماع ، وقد كتب بعضهم فى هذا العصر وأخذ المراد له من تلك المعانى بأن الوفاة بمعنى الموت وترك كل معنى مناسب للمقام ، وقال : ان سيدنا عيسى عليه السلام مات وانتهى ، ليرضى به القاديانية فى الهند واليهود وغيرهم . وأخذ ابن تيمية من معنى « الى » وعنى بها المكان والجهة وترك كل المعانى المرادة فى معنى « الى » التى عليها الاجماع وخالف . ولم يتمسك الا بالمكان والجهة ، وهكذا شأن المخالفين من الضالين ومن هم على قدم ابليس اللعين بالمخالفة ضد الحق وأهله ، فمثل هذا الانحراف والخروج على الاجماع فى فهم المعانى من مصداق قوله تعالى : (يضل به كثيرا) لأن المعانى لا تفهم الا من الألفاظ والألفاظ لا تفهم الا من الوضع والمقام الملائم له الذى يفهم كل معنى منه بواسطة ما يتصل به من القرائن والأحـوال .

فمن أراد أخذ معنى لفظ ذى معان تعين عليه الرجوع الى اللغة التى تعد العمدة ، والمرشد الأوحد فى صرف اللفظ الى أحد معانيه ، وهيهات أن يهتدى الى فهم المتشابه من ليست له دراية باللغة وأساليبها ، وطرق استعمال ألفاظها ، ولو كان ممن أوتى من العقل نصيبا أوفر وحظا أكبر ، اذ ليس معانى الألفاظ مما تستقل بالتصرف فيه العقول والأفهام . والا لم تكن الألفاظ موضوعة لمعان وضعا لغويا .

واذن فمن أراد أن يحمل لفظا على معنى ، سـواء فى المركبات أو المفردات ، وجب عليه وجوبا حتميا أن يقف على اللغة وقوفا يؤهله للتصرف فى الألفاظ تصرف حمل على بعض المعانى ومنع لها عن البعض الآخر . والا كان تصرفه تجنيا على اللغة ، وجناية على الدين ، قد تفضى به الى شر المصائر ، وأسوأ العواقب أعاذنا الله من ذلك ، وبهذا انجلى

لك سر رواية المتنطعين فى هذا العصر ممن زعموا أن القرآن والسنة كسائر الكلام العادى الذى نشأ الانسان على فهمه دون رجوع الى أصحاب المذاهب ، أو من يشتغلون بالتفسير والتأويل من أهل العلم حتى بلغ من أمرهم أن جوّزوا للعامة السذّج ممن لم يعرفوا من اللغة حتى بدهياتها الأولية . الاشتغال بالتفسير وتأويل القرآن والأحاديث . فوقعوا فى الكفر من حيث لا يشعرون ، وفى التحريف الأشبه بالتبديل وهم لا يعقلون .

وانك أيها القارىء الكريم ستعلم مما سنذكره قريبا من معانى بعض الألفاظ المتشابهة التى وضعتها لها العرب . أن الاشتغال بتفسير القرآن الكريم والأحاديث قدسية كانت أو نبوية محظورة كل الحظر على من لم يعرف اللغة معرفة تؤهله لفهم مركباتها ومفرداتها .

ولا يحصل ذلك الا بدراسة علوم اللغة دراسة استيعاب واحاطة بقدر الطاقة والامكان .

فرب لفظة واحدة تطلق فى لسان العرب على معان عدة يفتقر تمييز بعضها عن بعض الى القرائن التى يرجع أكثرها الى الأساليب الكلامية . واذ قلنا ان اللغة ضرورية بجميع فنونها لمن يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام فليس معنى ذلك أن اللغة وحدها كافية فى فهم كلام الله ورسوله ، بل لابد أيضا من التلقى عن الموثوق بهم من علماء الأمة المنتهى سندهم الى الصدر الأول .

ألم تسمع ما وقع للصديق أبى بكر العربى اللسان ، المعاصر للوحى اذ سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأبّا » فقيل له عرفنا الفاكهة فما معنى (أبّا) قال الصديق رضى الله تعالى عنه : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلّنى اذا أنا قلت فى كلام الله مالا أعلم ؟

ثم ألم تسمع ما وقع لمعاوية بن أبى سفيان العربى القرشى أجد كتبة الوحى ، حين انطلق الى ابن عباس ترجمان القرآن رضى الله عنه فقال يا بن عباس : لطمتنى أمواج القرآن فذكر قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) قال : أو يظن نبى الله يونس عدم القدرة فى ربه ؟ فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : ليس هذا من القدرة انما هو من القدر بمعنى التضييق ، على حد قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .

ثم ألم تسمع قول عمر بن الخطاب العربى القرشى فى قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اذ قال فيه : ما كنت أعلم معنى هـذه الآية حتى يوم غزوة بدر حين هزم قريش وولوا الأدبار .

وأمثال هذه الوقائع من الكثرة بحيث يعجز القلم عن حصرها فى مثل هذا النطاق .

وعلى هذا فاللغة والتلقى شرطان أساسيان فى الاشتغال بالتفسير والتأويل فى كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

واذ ذكرنا هذين الأصلين فعليك أن تطلب أصلا ثالثا لا يقل أهمية عن الأصلين المذكورين وهو : صحة العقل وجودة القريحة المكتسبة من ممارسة العلوم الشرعية ، ودراسة الشئون البشرية ووقائع التـاريخ التى كان لها أعظم مدخل فى نزول الآى ، ومجىء الأحاديث .

ولهذا أجمعت الأئمة على اعتبار أسباب النزول فى التفسير والتأويل للقرآن والحديث . كما أجمعوا على منع أصحاب اللغة الذين لم تتوفر فيهم صحة النظر ، وجودة القريحة المكتسبة مما ذكرنا آنفا من الاشتغال بالتفسير والتأويل .

وأظنك بعد هذا لا ترى رخصة للمتنطعين من حفاة العامة وسوقتها

فيما يدّعون من أن مذهبهم الكتاب والسنة ، منكرين مذاهب الأئمة وأقوالهم وآراءهم .

ألم يسمع هؤلاء قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من قال فى القرآن برأيه هلك » وهو حديث صحيح عم الآفاق ، وملأ الأسماع فى كل جيل وعصر ، فكيف يصح لهؤلاء التمذهب بالكتاب والسنة ؟ والكتاب والسنة يبرآن من كل جاهل خلاّط يستقل برأيه (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وهل العالمية التى اشترطها الله تعالى لفهم أمثاله . وآيه المنزلة عنه صفة تثبت للشخص بمجرد انتظامه فى سلك البشرية ، لكونه سميعا بصيرا متكلما ، دون ممارسة لمختلف العلوم اللغـوية والشرعية فيكون كل بنى آدم بمجرد انحدارهم من الأرحام البشرية حاملين للصورة الآدمية علماء راشدين .

واذن لوجب الغـاء المعاهد والمدارس فى جميع مراحلها العلمية والاكتفاء بالمكاتب الأولية التى تؤهل لمعرفة الخط والقراءة .

ثم هؤلاء المتنطعون لِمَ لم يدعو علوم الهندسة والطب وغيرهما من الفنون التى لا تفتقر العالمية فيها الى الدراسة العميقة ، والأخذ من علمائها افتقارنا الى فهم العلوم السماوية الغيبية ، مع أنها علوم وضعية استنبط قواعدها أمثالهم من أبناء البشر ، فكيف يسوغ لهؤلاء المتنطعين ادعاء العالمية بالقرآن والحديث بمجرد الرأى دون دراسة وأخذ من العلماء مع أنهما علوم الهية ، وأسرار ربانية غيبية رتبها العليم الخبير .

اللهم ان هذا لطمس ليس وراءه طمس ، وجهل وهذيان وقلب للأوضاع يأباه كل طبع وينكره كل عقل الا عقولهم المصابة بالطمس والمسخ .

فعجيب ممن لا يعرف أسماء النجوم وهى فوق رأسه ، وخواص

النباتات ومنها طعامه وغذاؤه ، أن يتكلم برأيه فى أسرار الغيب ، وعلوم السماء التى هى القرآن والأحاديث ، فكلامهم فى مثل الاستواء على العرش ، والفوقية ، والرفع ، والعندية ، والقرب ، والمجىء ، والنزول . وسائر ما فيه تشبيه الخالق جل وعلا بصفات خلقه ، مما سماه القرآن بالمتشابه ، لعب بالحق وسفه يستوجب سخط الله والملائكة والناس أجمعين .

وها هو سنن أهل الحق الذين هم لاحقهم كسابقهم فى الاهتداء الى بيان رب العالمين وسنة سيد المرسلين الذين نزهوا الحق سبحانه وتعالى عن كل متشابه واليك بيانهم :

قال العلامة اللقانى :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال العارفون بالله تعالى تبينا لكلام العلامة اللقانى ، والمراد بالنص هنا ما قابل القياس والاستنباط والاجماع وهو الدليل من الكتاب أو السنة سواء كان صريحا أو ظاهرا وليس المراد به ما قابل الظاهر وهو ما أفاد معنى لا يحتمل غيره اذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تأويله وقوله : أوهم التشبيها أى أوقع فى الوهم صحة القول به بحسب ظاهره والمراد من التشبيه المشابهة لا فعل الفاعل وقوله أوله أى أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد فالمراد أوله تأويلا تفصيليا بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف وهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل من بعد القرون الثلاثة وقوله : أو فوض أى بعد التأويل الاجمالى الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم اليه تعالى على طريقة السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقبل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين وطريقة الخلف

أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الايضاح والرد على الخصوم وهى الأرجح ولذلك قدمها المصنف وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى وقوله : ورم تنزيها أى واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق مع تفويض علم المعنى المراد ، فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الاجمالى لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى لكنهم اختلفوا بعد ذلك فى تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين بناء على الوقف على قوله تعالى (والراسخون فى العلم) فيكون معطوفا على لفظ الجلالة وعلى هذا فنظم الآية هكذا وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم وجملة يقولون آمنا به حينئذ مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل أو على قوله وما يعلم تأويله الا الله وعلى هذا فقوله والراسخون فى العلم الخ استئناف وذكر مقابله فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) الآية . أى كالمجسمة فمنهم من قال انه على صورة شيخ كبير ومنهم من قال انه على صورة شاب حسن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والحاصل انه اذا ورد فى القرآن أو السنة ما يشعر باثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق على تأويل ذلك ، فوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره . فمما يوهم الجهة قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) الآية . فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالى فى العظمة فالمعنى يخافون أى الملائكة ربهم من أجل تعاليه فى العظمة أى ارتفاعه فيها ومنه قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فالسلف يقولون استواء لا نعلمه والخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

وسأل رجل الامام مالكا عن هذه الآية فأطرق رأسه مليا ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الا ضالا فأمر به فأخرج . وسأل الزمخشرى الغزالى عن هذه الآية فأجابه بقوله : اذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عنى ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف اياك ولم ... تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت ... فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجرى منك أم كيف تبول
فاذا كانت طواياك التى ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى ... فلعمرى ليس ذا الا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى (وجاء ربك) وحديث الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول : من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له .

فالسلف يقولون : مجيىء ونزول لا نعلمهما والخلف يقولون : المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله الخ وفى المنن أن الغالب أن الموكب الالهى ينصب من الثلث الأخير ، وتارة ينصب من أول النصف الثانى الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح . كما ورد فى حديث مسلم ومما يوهم الصورة ما رواه أحمد والشيخان ان رجلا ضرب عبده فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله تعالى خلق آدم على صورته . فالسلف يقولون صورة لا نعلمها والخلف يقولون : المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته فى الجملة وان كانت صفته تعالى قديمة وصفة الانسان حادثة وهذا بناء على أن الضمير فى صورته عائد على الله تعالى كما يقتضيه ما ورد فى بعض الطرق فان الله خلق آدم على صورة الرحمن وبعضهم جعل الضمير عائدا على الأخ المصرح به فى الطريق التى رواها مسلم بلفظ فاذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته أى واذا كان كذلك فينبغى احترامه باتقاء الوجه ومما يوهم الجوارح . قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) (يد الله فوق أيديهم) وحديث ان قلوب بنى آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن فالسلف يقولون لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها والخلف يقولون المراد من الوجه الذات وباليد القدرة والمراد من قوله بين أصبعين من أصابع الرحمن بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان القدرة والارادة (لطيفة) سأل الشعرانى شيخه الخواص لماذا يؤول العلماء الموهم الواقع من الشارع ولا يؤولون الموهم الواقع من الولى ؟ فقال : لو أنصفوا لأولوا الواقع من الولى بالأولى لأنه معذور بضعفه فى أحوال الحضرة بخلاف الشارع فانه

ذو مقام مكين وقد يقال ينبغى المحافظة على الواقع منه ما أمكن لأنه يقتدى به ولا كذلك الولى فانه لا يحافظ على كلامه لأنه لا يقتدى به فاذا أوهم أهدر .

هذا وقد تكلم فى تلك المتشابهات أفاضل الأمة الاسلامية وألفوا فيها كتبا من المفسرين والمحدثين ، أخذا من بيان سيد العالمين ، واللغة الصحيحة السليمة التى جاء بها القرآن الكريم ، وأجمع عليها أهل الحق من المحققين ولم يشذ فيها أحد الا المخالفين ممن هم ضد الحق وأهله .

ولذا ترى الموفقين لا يحيدون عن ذلك أبدا . وهى المعانى المناسبة اللائقة لوضعها بجانب الحق عز وجل التى تنزهه عن كل نقص ، وتثبت له كل كمال وخاصة أن الأئمة رضى الله تعالى عنهم قد أجمعوا على أن اللفظ الذى يحتمل معنيين . أحدهما يوجب محظورا . يجب العدول عنه الى مالا محظور فيه .

وأما أهل الضلال فيتمسكون بتلك المعانى المتشابهة ولا يحيدون عن ذلك أبدا ، وذلك للوضع الالهى لعباده ليعرف الحق وأهله ، والضلال وأهله .

الاستواء

والرد عليهم فيه من النقل والاجماع

نقول مسألة الاستواء للعلماء فيها كلام نحوا من أربعة عشر قولا . واجماع المتقدمين والمتأخرين أنه اذ وجب تنزيه البارى سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولو احقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة . فليس بجهة فوق عندهم ، لأنه يلزم من ذلك متى اختص بجهة أن يكون فى مكان أو حيز ، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث .

الاستواء على العرش

نقول : خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر فى الاستواء الذى قد ضل به الضالون ، لأنه أعظم مخلوقاته ، وان العاقل المتدبر فى القرآن الكريم الذى يعقل عنه أنه سبحانه وتعالى حيث قهر أعظم مخلوقاته ، وهو العرش ، فبطريق الأولى أن يذل ويخضع له ابن آدم الذى هو أقل من الأرض ، التى هى أقل من السماء ، التى هى أقل من العرش ، اذ أنه مع ما هو عليه من ضعف البنية وحقارة التفكير التى بها قد ينحط الى درجة البهائم العجماوات ، مع هذا كله يدعى الألوهية والكبرياء والعظمة التى اختص بها سبحانه وتعالى فيكون فى الاخبار بأنه تعالى على العرش استوى ردع لمن ادعى ذلك لينبهه جل شأنه على بطلان دعواه ، وهذا حسن على ما ورد فى بعض الأخبار الصحيحة كما ستعرفه .

وانما الأغبياء يظنون بالله تعالى أنه استوى بمعنى جلس واستقر بذاته فوق عرشه ، ومن أكبر أدلتهم يقولون : الامام مالك يقول : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . ويتمسكون به أكثر من الآيات جهلا منهم بأن الامام مالكا امام دار الهجرة رضى الله عنه يقصد بالاستواء الاستقرار ، وهذا من الجهالة منهم بمكانة قدر الامام مالك حجة الله فى أرضه ، وقد بين الامام القرطبى ما عليه الاجماع فى معنى قوله الامام مالك رحمه الله تعالى .

قال : الاستواء معلوم ، يعنى فى اللغة — والكيف مجهول . والسؤال عن هذا بدعة . قرطبى . ففسر القرطبى رحمه الله تعالى معنى قول الامام مالك رضى الله عنه فى الاستواء معلوم فى اللغة . يعنى يرجع فى معنى الاستواء الى اللغة قال : ويوضع بجانب الحق عز وجل المعنى المناسب

لجلاله . وفى اللغة : الاستواء . فى كلام العرب هو العلو ، قال تعالى (الرحمن على العرش استوى) : علا — أى ارتفع .

قال الشاعر :

فأوردتهم مــاءا بفيفــاء قفرة   وقد حلّق النجم اليمانى فاستوى

واستوى من اعوجاج ، واستوى على ظهر دابته : أى استقر ، واستوى الى السماء : أى قصد ، واستوى : أى استولى وظهر .

قال :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهــراق

واستوى الرجل : أى انتهى شبابه ، واستوى الشىء : اذا اعتدل ، واستوى : أى علا وارتفع قرطبى . ولا يخفى أن فى الكلام الدارج المتعارف يقال لمن يكرم زد من كذا . يقول أنا استويت هل استوى على الأكل أم على الشرب .

أنظر يا أخى يترك الضال جميع ما ورد فى اللغة التى أحال الامام مالك اليها ، ولم يختر من المعانى الا المخالف الذى لا ينطبق معناه ولا يتناسب مع مقام الحق عز وجل ، اذ علوه وارتفاعه عبارة عن علو مجد لصفاته وملكوته : أى ليس فوقه فيما يجب له تعالى من معانى الجلال أحد ، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه . لكونه العلىّ بالاطلاق سبحانه .

العرش وما جاء فى معناه

ومعنى (على العرش) قال فيه الامام القرطبى هذا لفظ مشترك يطلق على الكثير أيضا . قال الجوهرى وغيره : العرش — سرير الملك . وفى التنزيل : (نكروا لها عرشها) . (ورفع أبويه على العرش) والعرش

سقف البيت ، وعرش القدم ما تنأ على ظهرها وفيه الأصابع ، وعرش السماك — هم أربعة كواكب صغار أسفل من العواء احدى منازل القمر ، وعرش البئر طيها بالخشب ، والعرش اسم لمكة ، والعرش الملك والسلطان . قال زهير : —

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها

وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

وقد يؤول العرش فى الآية بمعنى الملك : أى ما استوى الملك الا له جل وعز . قرطبى .

تأمل يا أخى فى أحوال الضالين كيف يأخذون من معانى القرآن على حسب أهوائهم ، وأغراضهم الشيطانية .

فهذا بيان اللغة العربية فى معنى الاستواء . والعرش ، فلو شاء الله هداية أحد منهم لوافق اجماع الأمة الاسلامية . وهاكم أفاضلها ومن أهّلهم الله تعالى لبيان كتابه العزيز لعباده باجماعهم ، ولم يشذ أحد منهم على أن الدلائل العقلية والنقلية القاطعة التى قدمنا ذكرها تبطل كونه تعالى مختصا بشىء من الجهات ، واذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار . فوجب أن يكون المراد أن استوى بمعنى علا وارتفع ولا يراد بذلك العلو بالمسافة والتحيز والكون فى المكان متمكنا فيه ، ولكن يراد معنى يصح نسبته اليه سبحانه وتعالى وهو قول متين . ألوسى .

قولهم : الله فى السماء

نقول مما تقرر عقلا ونقلا أن الله تعالى اله قديم ، مستغن عن كل ما سواه ، وغيره مفتقر اليه ، فكيف يحل فى السماء والحلول دليل

الاحتياج !! وأنه تعالى لو كان فى مكان لكان متناهى المقدار ، وما كان متناهى المقدار فهو حادث ، والله تعالى قديم فيستحيل عليه الحلول فى مكان أو جهة ، ولو كان الله فى السماء لوجب أن يكون مالكا لنفسه وهو محال .

ولأنه كونه فى السماء يقتضى كون السماء محيطة به من جميع الجوانب ، فيكون هو أصغر من السماء . والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة الى العرش والسموات وذلك باطل بداهة ، وعلى هذا سلف الأمة وخلفها . قال العلامة اسماعيل حقى فى تفسيره روح البيان : —

من قال : ان الله فى السماء حالاً ان أراد به المكان كفر ، وان أراد به الحكاية عما جاء فى ظاهر الأخبار لا يكفر ، لأنها مؤولة والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات الا عين التنزيه .

وقال فيه : ان الاعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش ، أو كائن فى السماء . فيه تشبيه الله تعالى بخلقه وهو كفر ، قال أبو نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى : من شبه الله تعالى بخلقه كفر .

واجماع الأمة المحمدية كذلك . قال فى كتاب أتحاف الكائنات ص ١٣٨ للسبكى نقلا عن العراقى . ان معتقد الجهة كافر ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو الحسن والباقلانى . وفى ص ١٣٩ منه نقلا عن ابن قيم : ان الفوقية فى الآيات والأحاديث محمولة على حقيقتها . وهذا منقوض بما سمعت فهو كفر .

قولهم فى الله تعالى بالفوقية

اغتر الضال بظواهر الآيات التى ضرب الحق عز وجل بها الأمثال التقريبية لعقول عباده البشرية ، وتمسك بظواهرها ، واعتقد انه تعالى

عن ذلك علوا كبيرا ، فى جهة فوق ، مستدلا بقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) . (انى متوفيك ورافعك الىّ) (وهو القاهر فوق عباده) وأمثال هذه آيات وأحاديث كثيرة وهو معدود من المتشابه .

وذلك أن فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو . والله تعالى منزه عن الجهات ، وانما المراد منها حيث أطلقت على الله سبحانه وتعالى افادة العلو الرتبى ، ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة العديدة . منها قوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض) وقوله تعالى (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله) وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) وقوله تعالى (ولا يستخفون من الله وهو معهم) وقوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) والأحاديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » فنفى صلى الله عليه وسلم تقييده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى ، وفى صحيح الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن وصف السموات السبع أخذ يصف الأرضين السبع ثم قال فى آخره « والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجدتم الله عز وجل » ثم قرأ : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) هذا ولعل الله الكريم يكشف حجب الغفلة عن قلوب المارقين فينظروا فى حقائق الأمور فيتطلبوا الحقائق التى أمر الله تعالى بها عباده من مصادرها وينور بها بصائر المهتدين فتقوى حجتهم ويقوى ايمانهم ، وخاصة أن ما أثبته فى هذه الأدلة

قد أجمع عليها جميع مفسرى القرآن الكريم أخذا من اجماع السلف الصالح من الصحابة اليهم ولم يوفق للتوجه اليها ، والنظر فيها ، والأخذ منها ، والعمل بها ، الا من شاء الله تعالى هدايته وتوفيقه .

وأما الضال فلو شئت أن تحشوه بآلة فى عقله وقلبه فلا تستطيع ولا يقبل ، والا لم يتحقق فى الخارج الفرق بين الضالين والمهتدين .

(والله يهدى من يشاء الى الحق والى طريق مستقيم) .

استدلالاتهم من الأحاديث على أن الله فوق العرش وفى السماء

مما استعانوا به على ضلالاتهم ، وعدم اهتدائهم الى الحق ، وشذوا فيه بالمخالفة التى ذكروها استدلالا لهم على أن الله تعالى فوق العرش ، وفى السماء بذاته ، ومع خلقه بعلمه . وانى لمفصل لك ذلك بالتبيين الذى أجمع عليه عقلاء الأمة الاسلامية سلفا وخلفا : —

ان الأحاديث التى ذكروها ما جاءت الا لبيان ما فى القرآن ، وانها لم تكن الا على مقتضى المناسبة للعقول البشرية حتى توصل المعانى الى أذهانهم القاصرة ، ويفهموا الكلام بما ألفوه وتعودوه ، لأنهم اعتادوا قبل الاسلام فهم أن الله تعالى فى السماء وهذا هو غاية تنزيه الكافر للحق عز وجل عما فى العالم السفلى ، ويعتقد بذلك أنه قد نزه اله السماء عن كل ما فى العالم السفلى كماحكى الله عز وجل عن عقائد الكافرين بقوله تعالى (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى اله موسى) فهذه عقيدة الكافرين بأن الله فى السماء ، وبيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كما فى حديث الجارية الصحيح المشهور على ما كانوا يعتقدون ، اذ كانوا حديثى عهد بكفر ، وفى حديث حصين رضى الله عنه والد سيدنا عمران رضى الله عنهما حين

سأله صلى الله عليه وسلم بقوله : « كم كان لك من اله يا حصين قبل الاسلام » قال سبعة يا رسول الله . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « أى اله فيهم كنت ترجوه لنفعك ولدفع ضرك » قال : اله السماء . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « ما لك من اله غيره لا اله الا هو رب العرش العظيم » وهذا جئت به أزيد مما جاء به ابن تيمية من الأحاديث التى استدل بها على أن الله فى السماء ، وفوق العرش ، وقد فهم منها ذلك فقال : ان المعراج ما كان الا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج الى ربه . ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه ، وحديث نزول الملائكة « فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم » وحديث « وأنا أمين من فى السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وحديث الرقيا « ربنا الله الذى فى السماء نقدس اسمك » وحديث قبض الأرواح « حتى يعرج به الى السماء التى فيها الله » .

فيأيها القارىء الكريم قلنا مرارا أن من ضل فى معرفة الله تعالى فقد ضل فى معرفة كل شىء ، لأن مبدع الكائنات جل وعلا جعل لكل شىء مصدرا . فالعوالم السفلية مصدرها العوالم العلوية وجميع ما فيها مستفاد من العوالم العلوية ، فهى أكبر وأقدر وأعم وأشمل وهى التى تكون ملكوتا للأرض وما عليها ، لأن ملكا واحدا ، أو كوكبا واحدا يستطيع أحدهما لو شاءالله هلاك الأرض وما عليها به لفعل كما فى الحديث المروى عند أبى نعيم والطبرانى « ان لله تعالى ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه : سبحانك حيث كنت » أليس على هذا يكون المعنى « أأمنتم من فى السماء » قهره وجبروته ؟ أليس هذا معنى ألطف وأحسن من كونه سبحانه وتعالى فى السماء بذاته ؟ وهذا سيد العالمين يحدثنا أن الملك العظيم يقول فى تسبيحه

« حيث كنت » ولا يعلم وهو ملك أين الله ؟ أفيرشد سيد العالمين أن الله تعالى فى السماء حتى يفهم هذا منه صلى الله عليه وسلم ؟ وان القرآن والسنة قد جاءا بما يدل على التحتية أكثر من الفوقية فيلزم على ذلك التعارض ، ولا معارضة فى الكتاب والسنة كما عليه الاجماع . ومن هنا تعرف أن جميع الأحاديث التى ساقها بأن الله فى السماء لم يفقه لها معنى على ما بينا من أن أدلة التحتية أكثر عددا من أدلة الفوقية التى منها قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) (ولا يستخفون من الله وهو معهم) وهكذا من الآيات التى تشبه ذلك ، ومن الأحاديث حديث « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وحديث وصف السبع أرضين المروى عند الترمذى « والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجدتم الله عز وجل » وهكذا من الأحاديث الكثيرة التى تشبه ذلك ، وان قالوا بالتأويل فيها : أى بعلمه نلزمهم التأويل بطريق الأولى فيما يزعمون بالمعانى التى تتناسب مع مقام الحق عز وجل ، وان تشأ فقل كما قال العلامة البيضاوى وأبو السعود كان هذا . أى كل لفظ يفيد فى السماء أو العلو هو على ما كانوا يعتقدون فى الحق جل وعلا أنه فى السماء قبل الاسلام فجاء الاسلام بالقرآن المجيد وبارشاد سيد العالمين مثبتا للحق جل وعلا ما يليق به سبحانه وتعالى من التنزيه له عن كل نقص مما يشبه صفات الحوادث ، وهذا ما أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم الى يوم الدين .

وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى قريبا فى الباب الثالث الخاص بمعرفة الحق سبحانه وتعالى بالقدر الممكن للبشر وما عليه أهل الحق من صريح القرآن والسنة المطهرة .

تابع الاستواء على العرش وفى السماء

قال ابن تيمية فى الرسالة الحموية الحادية عشر صفحة ٤٥٠ — ٤٥٢ — ٤٥٣ من مجموعة الرسائل المطبوعة بالمطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ ما نصه : —

قال : فان قال قائل أتقولون أنه تعالى فى كل مكان . قيل له : معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر فى كتابه فقال (الرحمن على العرش استوى) ، وقال (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ، فاذا هى تمور) قال مستدلا على زعمه الفاسد : ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الانسان وفمه ، والحشوش ، والمواضع التى يرغب عن ذكرها ، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة اذا خلق منها مالم يكن . وينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان . ولصح أن نرغب اليه الى نحو الأرض ، والى خلفنا والى يميننا وشمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله .

وقال : ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها اذا دعوا الى الأرض .

فانظر أيها القارىء الكريم الى كلام هذا الضال فى معرفة ربه جل وعلا ، ولا يخفى عليك أنا قلنا مرارا : ان كل من ضل فى معرفة الله تعالى فقد ضل فى معرفة كل شىء ، وهذا يقرر لأتباعه أن الله تعالى فوق العرش فى سمواته مباين لخلقه منفصل عنهم .

وقد قدمنا ابطال عقيدته الزائفة فى معنى الاستواء والعرش والفوقية والمكانية والمباينة عقلا ونقلا ، وهنا نبين لك ابطال تلك العقيدة الفاسدة بما نورده من أدلته العقلية التى لا يقول بها الا مثله فى الضلالة ، اذ قوله :

لو كان فى كل مكان لكان فى بطن الانسان وفمه ، والحشوش كما هو مبين فى كتاب الدارمى أيضا الذى امتدحه . نقول : قد ضل هذا كأمثاله الضالين قبله بقصر نظرهم ، وطمس بصيرتهم ، ولتعويلهم على ظواهر الموجودات ، ولم يفطنوا الى حقائق المكونات التى لفت الله تعالى نظر عباده اليها بقوله تعالى (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) . (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) . (فأينما تولوا فثم وجه الله) فهؤلاء لا يدرون معنى الموجودات وما هى عليه ، ولا كيفما هى ، وبهذا باءوا بالخسران المبين .

وانى أضرب لك مثلا عقليا تخرج منه بقطع ألسنة الضالين المارقين فى فهم هذا ، وفيما فهموا بأنه لا يصح اطلاق وجوده تعالى فى كل مكان فضلا عما ذكروا بأنه تعالى لا يصح أن يكون فى المواضع التى يرغب عن ذكرها .

ذلك المثل العقلى المأخوذ من قوله تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فقل له : هب أن ذاتك هى عبارة عن الملك . وهل هى موجودة على قيد الحياة بالروح أم بالمادة فقط ؟ فلا يسعه الا أن يقول بالروح ، وهل الروح عامة فى جميع الجسم أم هى مختصة بالرأس فقط ؟ أم فوق الرأس ؟ ليقابل قوله أن ما به الوجود سبحانه وتعالى فوق وفى الرأس ليقابل أن ما به الوجود سبحانه وتعالى فى السماء وعلى العرش ، ثم قال له أيضا وهل الروح طاهرة أم نجسة ؟ فلا يسعه الا أن يقول : طاهرة . وهل هى عامة فى جميع الجسم أم لا ؟ فلا يسعه الا أن يقول عامة فى جميع الجسم ، ومن الجسم المخرج والمبولة اللذان لا يخلوان من النجاسة أبدا . فعلى قولهم هذا يكون الجزء المتصل بالجسم من الروح بهما نجس ، لأنه لا يحس عند الحاجة الا بها . أفهل الروح نجسة فى هذا الحال ؟ أم مترفعة عنه ؟

وعلى هذا لا نفهم الا ما فهمه الأفاضل من أن النجاسة والطهارة أمران اعتباريان فى عرف الشرع لتميز الأشياء بعضها عن بعض . هذا وفى الحديث الصحيح « ان الله وكل بالرحم ملكا يقول : يا رب نطفة يا رب نطفة » . الحديث . ومن المعلوم أن الرحم مقره فى وسط الأمعاء وهو محل قرار الجنين فى بطن أمه ، فكيف يجلس هذا الملك الطاهر فى هذا المكان المعروف ؟ هذا وان الملكين اللذين يكتبان الأعمال جعل الله تعالى مقرهما خلف الأضراس بنص الحديث الصحيح « لطف الله الملكين حتى أجلسهما على الناجذين » فكيف بهما فى حال مرور الخمر وأكل الحرام عليهما وهما أطهار ؟ هذه أدلة عقلية مستفادة من الأدلة النقلية فى الكتاب والسنة ، هذا .

وأما قوله فى استدلاله على أن الله فوق العرش وفى السماء برفع الأيدى الى السماء فى طلب الدعاء . فنقول له ولمن على مبادئه : ان الله تبارك وتعالى كما جعل لكل شىء مصدرا كذلك جعل لكل شىء طريقا ومقصدا . فرفع الأيدى فى الطلب ناشىء عن العبادة أو الحاجة الداعية لذلك ، فجعل الله الطلب برفع الأيدى الى السماء . لأنها قبلة الدعاء ، وشأن الطالب حين يطلب يمد يديه لأنه الأدنى وطلبه لم يكن الا من الأعلى تبارك وتعالى لا من السماء ، ولا باعتقاد أن الله فى السماء لأنه يرفع يديه ولا يشخص ببصره الى السماء كما جاء فى تعاليمه صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأن الذى يطلب منه انما هو معه يسمعه ويراه ، ولكن شرع رفع الأيدى بالدعاء للاحتياج اليه على الدوام ، ليشعر العبد أنه مفتقر اليه تعالى فى جميع مستلزماته ، وهذا جاء به التشريع ، كما بيّن لنا التشريع أيضا بأن هناك أقواما لا يطلبون ولا يدعون لأنهم هم العارفون . والعارف يرى أنه فى معية ورعاية سيده على الدوام . فلا يكون

الطلب بالنسبة له الا قلة أدب مع سيده ، ومحال أن يطلب لأن الطلب للمحجوب الآخذ فى سبيل المعرفة . وأما هؤلاء فهم على قدم الخليل عليه السلام ، هذا ولم جعل الله تعالى الصلاة الى الكعبة ولا تقبل الا اليها ؟ وهل آلله تعالى فيها يأيها الغر ؟ هذا وقد جعل الله تعالى الحج : الوقوف بعرفة . ولا يقبل الا به . وقد جعل الله تعالى العمرة لا تقبل الا بالسعى بين الصفا والمروة والطواف .

اذن فالدعاء الى السماء على ما قررنا ، بأن الله تعالى جعل لكل شيء مصدرا وجعل له طريقا ومقصدا .

وان تشأ فقل : ان هؤلاء لما لم يروا الله تعالى عيانا فى العالم السفلى المشاهد لهم أنكروا وجوده فى كل الوجود ، فهم على قدم من قال : (أرنا الله جهرة) ولما لم يروه ويشاهدوه عمدوا الى ما هو أضل وتصوروا صورة ، على قاعدة ما يضلل به ابليس حزبه ، ونطقوا بها ، واستدلوا عليها بكل ما هو مخالف ، ووافقوا اليهود والنصارى فى أنه فى السماء .

هذا . وقد قال سرجيوس القسيس المشهور فى هذا العصر لصاحب لنا : « أين الله ؟ . لو كان موجودا لرأيناه . فقلت لمن قال له ذلك : وهل هو يرى كل مخلوق حتى أنه يريد أن يرى الخالق جل وعلا ، وقد ضربت له المثل السابق بالروح ووجودها فى جميع الجسم ، هل يمكنه أن يراها ؟ وقلت له أيضا : انا نؤمن بالجن ، وهم معنا . فهل نحن نراهم ؟ ! ونؤمن بالملائكة وهم معنا . فهل رأيناهم ؟ ! ونؤمن أن اللبن فيه السمن . فهل نراه فيه ؟ ونؤمن أن جميع الحبوب والنباتات مطلقا من فاكهة وغيرها فيها الدهن . فهل نراه فيها ؟ !

واذا كنا لا نرى ما هو موجود معنا من مكلف، مثلنا . ومما تتغذى به ، ولا نرى الروح فى الحيوان ولا كيف هى ولا الهواء الذى نعيش به . فهل عدم رؤية كل ذلك دليل على عدم وجوده ؟ اللهم لا .

ولقد أحسن من قال كلمة لا يعقلها الا العالمون « ان كل شيء في كل شيء » وكفانا قول الحق تبارك وتعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

واقعـــــــة حال

بينما أنا أقرر بالدرس فى الأزهر الشريف . معنى قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) وأنفى قول من يدعى الحلول اذ وجه الىّ أحـــد طلبة العلم السؤال الآتى : —

لقد نفيت عن الله تعالى . الاستقرار فى السماء ، مع أن الأدلة قائمة من القرآن على وجوب التمسك بظاهر قوله « أأمنتم من فى السماء » وذلك كقوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الىّ) فانا جازمون بأن عيسى رفع الى السماء ، وقد جعل الله ذلك الرفع اليه ، فلولا أنه تعالى مستقر فى السماء ، ما كان الرفع الى السماء رفعا الى الله ؟ فأجبته بأنه لا يلزم من قوله (ورافعك الىّ) أن الله تعالى موجود فى السماء بذاته ، وجود حلول واستقرار ، اذ لِم لا يجوز أن يكون المعنى . ورافعك أى الى مكان حفظى الذى قصرت أيدى الخلق عن التصرف فيه لاستحالة وصولهم اليه حسا ومشاهدة أو الى سمائى التى لا تنسب لأحد غيرى ولا كذلك الأرض . التى اقتسمها أيدى البشر وادعى كل ذى سلطان الاختصاص بجزء منها مع امكان تصرفهم فى جميع أجزائها ، فكان الرفع الى الســـماء كأنه رفع الى الله تعـــالى فى قصـــور أيدى الخلق عن الوصول اليه .

وبهذا بطل الاحتجاج بآية الرفع على ابقاء (أأمنتم من فى السماء) على ظاهرها الذى ابتليت بالتمسك به طائفة الالحاد والزيغ من المجسمة الحلوليين . ولو تأملنا الآيتين تأمل تبصر وتدبر لأيقنا أن الرفع اليه أوسع

من معنى قوله (أأمنتم من فى السماء) فان مدلول (الىّ) لا يصح عقلا أن يساوى الاستقرار فى السماء ولا يستدل بالأعم على الأخص عقلا لجواز تحقق العام مع تخلف الخاص وهو بديهى وهذا كله بغض النظر عن الأدلة العقلية القاطعة باستحالة الجهة عليه تعالى استحالة أولية . اذ الجهات محدثة ، ذات بداية فى الوجود والله تعالى أزلىّ ليس لوجوده بداية ، فكلما كان قبل حدوث الجهات لم يزل كذلك بعد حدوثها أيضا .

والحاصل أن النصوص النقلية المتشابهة المشتبهة لذاته تعالى بذوات خلقه ، هى وحدها تنادى باستحالة ظواهرها ، حتى ولو لم يلاحظ حكم العقل ودلالته ، وخاصة أنه قد ألّف أفاضل الأمة كتبا فى رد المتشابه الى المحكم فتجد طلاب الحق الذين يردون الضالين عن ضلالاتهم ، يقولون ذلك ويتدبرون معانيه ويؤمنون به ، فاقتنع السائل المستشكل ونزل عن شبهته وصار فى طريق الموحدين الذين ينزهون البارى سبحانه وتعالى عن صفات خلقه التى من جملتها الحلول فى الجهات وأصبح من المهتدين الذين أثنى سبحانه وتعالى عليهم فى محكم تنزيله قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب) .

الفصل الثانى

فى الرد عليهم وعلى متابعيهم من قولهم انه سبحانه وتعالى له صفات الحوادث من الأيدى ، والأرجل ، والوجه ، والعينين وغيرها ، والنزول والمجىء والعندية وغيرها : وسنرد عليهم فى هذه المفتريات واحدة واحدة ، وقبل الدخول نلفت نظر القارىء الكريم الى شىء مما هم عليه فنقول :

ان من أكبر ما نستدل به على انطباق جهلهم وتضليلهم لأنفسهم

ولمن ابعهم ، قولهم : نعمل بقول السلف فى المتشابه مع أنه بينهم وبين السلف منافرة تامة ، والسلف يبرأ منهم ومن أشكالهم . وهاهم السلف الصالح يقولون فى كل متشابه تؤمن بآيات ربنا ، وكل من عند الله ، وجل السلف وافق الخلف على التأويل المناسب لذاته تبارك وتعالى ، فسلف الأمة الاسلامية وخلفها متفقون على ما بينا . ولكنهم هم لم يوافقوا لا سلفا ولا خلفا للأمة الاسلامية . نعم لهم سلف فى الضلال من عهد الصحابة والتابعين على المخالفة لاجماع المسلمين من القدرية والحرورية والمعتزلة ومن على شاكلتهم الى وقتنا هذا فنهاهم سلفهم وخلفهم فتراهم ينفون ويثبتون فى المتشابه من قولهم لله تعالى يد ولكن لا نعلمها ، وهكذا فى جميع آى المتشابه من الاثبات والنفى ولقد أحسن العلامة القرطبى فى تفسيره فى وصفه لهم بذلك ، فمن أين لهم هذا التعبير الفاسد المقول فيه بالتشكيك واستدلالهم بقول الامام مالك رضى الله تعالى عنه فى مسألة (الاستوى على العرش) لا يفهمون له معنى على ما قدمنا من أول سلفهم وخلفهم الذين ينتمون اليهم ليضللوا به البسطاء من المسلمين المتعلمين وغير المتعلمين .

وتكبر الطامة اذا كان ذلك ممن يتولى منصبا كبيرا فى الدولة من دعاتهم الذين نشئوا على تلك العقائد الزايفة فان جهر مثل هؤلاء بهذه المبادىء الخاطئة يعطى أهلها حجة يتمسكون بها فى اضلال الناس من ضعفاء العلم والايمان ، روى النسائى وابن حبان عن ابن عرفة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ستكون بعدى هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه فان يد الله على الجماعة وان الشيطان مع من فارق يركض » .

واليك البيان قال ابن تيمية فى تعريفه لربه خالق الكائنات سبحانه

وتعالى أن له صفات الحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ويؤسس لأتباعه ، ويموه عليهم بأن هذا الحق الذى لا مرية فيه ، اذ يقول فى الرسالة الحموية الحادية عشر من رسائله المطبوعة فى المطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هجرية صفحة ٤٢٨ قال : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث ، ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ، ليس فيه لغز ولا أحاجى ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه اهـ .

يعنى أن هذا عنده وفى نظره ، أن جميع الآى التى جاءت فى القرآن مما ذكره الحق عز وجل على وجه التقريب للعقول البشرية من صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى مما تشبه صفات الحوادث ، جعلها حقا وحقيقة لانطباقها على المشاهد له كما قال : فهو حق ليس فيه . لغز ولا أحاجى . يتبين من هذا أنه أخذ منه ، أى من القرآن بالظاهر الصريح ، وليس عنده ما يقبل التأويل ، ومن تمويهه تجده دائما يذكر أسماء أهل السلف كالامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد وغيرهم من أهل عصرهم رضى الله عنهم أجمعين ، وفى نظره أنهم لم يؤولوا فى المتشابه ، تمويها منه وتضليلا لمتابعيه ، ولم يفطن ، أو اختلس حكم السلف المقابل للخلف ، وقد أجمع علماء الملة الاسلامية على ذلك ، بل لم يبصر ولم يخش اصطدامه بقوله تعالى « كل شىء هالك الا وجهه » ومن المعلوم عقلا ونقلا ، أنه تعالى شىء لا كالأشياء ، فان لم يركب هذا سفينة التأويل تبعا لسلف وخلف الأمة الناجية ، لهلك فى معنى الآية الكريمة ، لأنه على ما يعتقد أن لله عز وجل وجها . كالوجوه ، فبحكم الظاهر الذى يدعى أنه متابع فيه للسلف زورا ، يكون الله تعالى هالكا الا وجهه ، ويكون بيان الآية على طريقته هكذا : كل شىء يقع عليه اسم الشىء ، ومن جملته

الباري تعالى يدركه الهلكة والفناء ، الا بعض البـارى وهو الوجه المستثنى ، وهذا لا يقول به انسان فضلا عن موحد ، ولست أدرى كيف يصنع فى قوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) فعلى ظاهره الذى هو متمسك به يكون أعمى الدنيا وأعمى الآخرة ولا قائل به البتة ، وكذا فى قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق) ومن المقرر عقلا ونقلا أن الرزق جميع ما ينتفع به ، ومنه : الدواب ، والأنعام . هل رأيت بقرة نزلت من السماء؟ يأيها المتمسك بالظاهر ولعمرى ان التمسك بالظاهر عموما وخاصة فى صفات البارى جل وعلا لهى الوحلة التى استلزمها المتمسك بظاهر المتشابه .

أفهل أنت أيها المسكين لا زلت باقيا فى تلك الوحلة المنتنة التى غصت فيها بعقيدتك الممقوتة من أخمص قدميك الى أم رأسك ؟ والتى جعلتك تحكم على معبودك بالهلكة والفناء حتى صرت أحد آل فرعون وعابديه ، أو أحد أهل الصليب القائلين بقتل عيسى عليه السلام مع زعمهم ألوهيته ، وعكوفهم على عبادته ، أو أحد العزيريين من اليهود الزاعمين أن إلههم فى السماء ، وابنه عزير فى الأرض .

ان الذى أدخلك أبواب الكفر والشرك جميعا عكوفك على ظواهر المتشابهات ، وامتناعك عن تأويلها على مقتضى العقل والنقل . الذين هما عماد الايمان وينبوعه ، وأساس الهداية ومدارها ، لقد حكمت بمقتضى ظواهر المتشابهات على نفسك بأنك راكع ساجد لشخص يساويك فى الخصائص والصفات ، أنت جسم مركب من عضلات وأعضاء باطنية وظاهرية ، ولك صفات من الحركة والسكون ، والتحيز فى الأمكنة والصعود والنزول ، والجلوس على الأرائك والقيام منها ، وقد نعت ربك ووصفته بكل تلك الخصائص والصفات ، فأصبح العابد والمعبود من

جنس المتحرك الساكن ، الصاعد النازل ، القائم القاعد ، ذى اليدين والرجلين ، واللسان والشفتين ، وأحداق فى العينين ، وصماخ فى الأذنين .

ثم لا ندرى أتقول أيضا ان ربك بائل متغوط ، فان جسما على تلك الصورة ، وبتلك العضلات والأعضاء اذا حرم المخرجين كان أنقص من عابده الذى يبول ويتغوط ، فانّ العابد حينئذ أكمل صورة ، وأزيد أعضاء من ذلك المعبود الذى حرم المخرجين .

وعجيب فى رأى البهم فضلا عن الآدمى أن يركع ويسجد كامل لناقص !!

فتب تبا لك ولعقلك التعس الذى حملك على نعش الكفر والاشراك لعبادة من هو أنقص جسما منك ، لقد اجتمعت فيك جميع عقائد أهل الزيغ والكفر بسبب بقائك على ظواهر المتشابهات ، كما حكمت على نفسك بالانسلاخ من البشرية ، والانفصال عن الانسانية التى تبرأ من الايمان باجتماع النقيضين فى شيء واحد فى آن واحد .

ألم تقل ان ربك باق أبدى ، ثم تضيف الى ذلك عقيدتك المستقذرة القاضية بفناء رب العالمين الا وجهه ، والوجه بعض الجسم . فان قلت : لم أقل بفناء ربى لأنى أحمل الوجه فى هذه الآية على الذات لا على الجارحة المخصوصة المسماة وجها . قلنا لك : حسن . حسن منك هذا التأويل ، فهل تصر عليه وتتخذه مذهبا لك ؟ فان قلت : نعم . أؤوّل الآية وأصر على تأويلها . قلنا لك : وأخزاك الله . لقد قضيت على مذهب منع التأويل وهو مذهبك بالفساد والبطلان ، وهذا الاقرار كاف فى هدم عقيدتك وعقيدة أتباعك فى مسألة المتشابهات . فان قلت : لا أقول بالتأويل الا فى هذه الآية خاصة . قلنا لك : أمرك عجيب ! كأمر الشيطان الرجيم ، تحل التأويل فى بعض وتمنعه فى بعض ! فما دليلك على هذا التبعيض

والتشقيق ؟ هل المسألة هندسة فكرية ، وخضوع للهوى ؟ أم الأمر عقل ونقل خاضعان للقوانين العقلية والسماوية . فهات لنا قانونا عقليا ، أو قانونا سماويا أباح التأويل فى بعض الآيات وحرمه فى البعض الآخر ، والا كنت أسير هواك ! وعابد شهواتك ! وسلطان شيطانك !

ثم عجيب منك أن تجعل ربك مقصورا على سكنى السموات ، وتحرم عليه سكنى الأرض بما أسلفت من خرافاتك المتلوثة فى لوثة الأرض بالمراحيض والحشائش التى تلوث ساكنها بالنجاسة والزراية . ان ربك يقول : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والضمير فى قوله (فيهما) راجع الى الأرض والسماء ، ويقول أيضا (وهو الله فى السموات وفى الأرض) الآية . فمنطوق الآيات أن الله فى الأرض كما أنه فى السماء ، اذ لفظ الجلالة اسم للذات المقدسة المنزه عن سمات المخلوقين ، فصنيعك هذا يوقفنا أمام أحد أمرين : فاما أن تتهمك بتكذيب القرآن الذى جعل الله فى السماء وفى الأرض فنجعلك شيطانا متخبطا كافرا بالقرآن ، واما أن تقول بالقرآن فتقلع عن عقيدة اسكان ربك فى السماء فقط .

ثم ما تقول فى قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) والغمام وظلله . كائنات أرضية ، فهل تقول الآية لتمثيل خيالى ؟ أم هى حق منزل ؟ فان قلت : هى تمثيل خيالى فأنت الكفر والكفر أنت ! اذ رميت القرآن بالخيال الذى برأه ربه منه (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) . وان قلت : حق منزل ، فكيف تنكر كون ربك فى الأرض وتحكم بأنه لا يتجاوز السماء ، على أن حكمك عليه بعدم مجاوزة السماء تعجيز له . أو حجر عليه . أيها المسكين ، مالك ولهذا الهراء الجامح ؟! الذى طوح بك الى تلك الحمئة المنتنة المرذولة

التى جعلتك تحمل المشائم الآتية : أولا اتهامك بتكذيب القرآن فى بعض آيه ، ثانيا اتهامك بالحكم على ربك بالفناء الا وجهه ، ثالثا اتهامك بتصوير ربك بصورتك الحاصلة من الجسم وأعضائه وصفاته مع نقصان فى معبودك حيث حرم المخرجين الذين لك ، رابعا اتهامك بأنك اتخذت لربك مسكنا خاصا لا يتعداه ، مع أن النصوص المتشابهة التى تمسكت بظواهرها لا تقصره على سكنى السماء ، كما أسلفنا ، بل تجعل جميع الأحياز والأمكنة والجهات على نسبة واحدة من رب الأرباب ، خامسا اتهامك بعقيدتك السالفة فى ربك أنك أصبحت أحد آل فرعون ومؤلهيه ، أو أحد أهل الصليب وعابديه ، أو أحد العزيريين من اليهود القائلين بأن الاله فى السماء ، وابنه على الأرض ، سادسا اتهامك بالتزوير فى النقل عن أئمة السلف حيث ادعيت أن السلف يجرون المتشابهات على ظواهرها دون تأويل أصلا مع أن هذا رد للقرآن ، وتكذيب صريح لقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) فان هذا نص جلى على أن المتشابهات لا تؤخذ بظواهرها البتة ، وأنت تحملها على ظاهرها دون تأويل وحاشا أن يكون من السلف من يقول باجراء المتشابه على ظاهره دون تأويل كما سنذكره قريبا عن الصحابة ومتابعيهم ، لأن ذلك أى عدم التأويل مصادم للنص القطعى القاضى بضرورة التأويل فى المتشابه كله ، غير أن السلف يقفون لأدبهم الجم ورسوخ قدمهم فى الكمال عند القول بالتأويل دون تعرض لتفاصيله ، وتعين المراد منه ، فأنت ومن ادعيت عليهم من السلف نقيضان كالظلام والنور ، والكفر والأيمان .

أفبعد هذا البيان الشافى يصح لهذا الضال ومتابعيه أن يتشمدقوا بما ورد من الجهالات المكفرة فى رسالته الحموية المطبوعة بالمطبعة

الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ . ففيها أخـذ يسرد آيات الصـفات ، والأحاديث الواردة فى معناها فقال فى هذه الرسالة صفحة ٤٣٤ ، ٤٣٥ ما نصه : قال الله تعالى (وهو السميع البصير) . (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) . وقال (ولتصنع على عينى) . وقال (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ؟) . وقال (والأرض جميعا قبضته يوم القيـامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ، وينزوى بعضها الى بعض » . وقال لثابت بن قيس : « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » . وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم . فقال له رجل من العرب : ان ربنا ليضحك ؟ قال : « نعم » قال لن نعدم من رب يضحك خيرا » وفى أشباه هذا مما لم نحصه ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا فى أفعاله ، فكما تتيقن بأن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ا هـ .

فانظر أيها القارىء الكريم الى ما كتبه فى معرفة ربه ، وقل له هل أحد وصل من الخلق الى معرفة أثر لصفة من صفاته جل وعلا فى مخلوق واحد ، أو فى ذرة واحدة ، حتى نصل الى معرفة الصفات ؟ واذا كنا لم نصل الى معرفة أثر الصفة . ولا الى الصفة . هل نصل الى معرفة الذات حتى يقرر أن له تعالى ذاتا حقيقية يصفها بأوصاف الحوادث المشاهدة له ، قياسا للغائب على الحاضر مع وجود الفارق ؟ وقد قررنا ذلك فيما تقدم عند قوله : ان الله تعالى بذاته فوق عرشه ، مباين لخلقه ، وعلى هذا فلا يكون من الأمة الناجية الا من تبع السلف، فى تفويض

العلم الى الله تعالى فى كل المتشابه ، أو يتبع الخلف فى تأويل اللفظ الى معنى مناسب لائق بالحق عز وجل . وأما من لم يتبع هؤلاء العقلاء من سلف الأمة وخلفها فى الذى عليه اجماع خيار الأمة من الصدر الأول الي وقتنا هذا . ويخالف الجميع ، ويشذ برأيه بعدم الموافقة ، لا الى السلف بالتفويض ، ولا الى الخلف بالتأويل الحسن فيكون ضالا ، وعلى الضلالة التى هى ضد الحق وعلى مبدأ ابليس الذى هو ضد الحق وأهله ، وان لم يكن فى هذا الخير وهو الاسلام ، هؤلاء وأمثالهم للشر لا نعرف الخير وأهله فى الأمة الاسلامية ، ولا نعرف الضال من المهتـــد .

ثم يقول : ان لله جل وعز صفات حقيقية وهى السمع والبصر واليد والرجل والفم . وقال أيضا : وسيأتى قريبا أنه تعالى يتحرك وينزل ويطلع . وأثبت أنه جالس سواء كان فى السماء أو فوق العرش . فلم يبق عليه الا أن يقول مما هو باق من صفات الحوادث الأكل والشرب والنوم والزوجة والولد . فلست أدرى هل يقصد أن لله تعالى يدا واحدة ، أو يدين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك ؟ فأى يد يريدها للحق عز وجل مما ذكر فى كلامه العزيز من قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) ، أو (والسماء بنيناها بأيد) أو (ما منعك أن تسجد لم خلقت بيدى) ومن المعلوم أن الجمع أقله ثلاثة ، فلو كان هذا الوصف فى مخلوق لنفر منه الناس ، وكذا يقال فى الأعين والآذان والأسماع وغيرها من صفات الحوادث على ما يعتقد هذا ، اذن فلا ينطبق هذا على الحق جل وعلا ، ، فهو لم يوافق السلف فى تفويض العلم الى الله عز وجل وقد ثبت عنهم كما سنذكره فى تفسير الآيات عن الصحابة وكما هو مدون فى الفقه الأكبر للامام أبى حنيفة أن جميع ما ورد فى القرآن الكريم من صفات الحق

عز وجل التى تشبه صفات الحوادث ، فهى صفات قديمة قائمة بذاته تعالى ، فهذا هو رأى السلف الذى لم يوفق ولم يهتد اليه كما ستعلم قريبا وما جاء عن الخلف الذين لم يوفق هو لموافقتهم ، وما هو الا من بيان السلف وتأويلهم التأويل الحسن وهو خير ممن لم يوافق السلف ولا الخلف ويجعل تلك الصفات لله عز وجل وهى عبارة عن الجوارح وهذا لا يتفق مع العقل السليم ، والتنزيل المحكم ، والبيان المنظم .

وهل قولته الشنيعة هذه أحسن ؟ أو تفسير اليد بالنسبة له تعالى بأنها عبارة عن القدرة وفيها المعنى الأقرب للعقول البشرية ، لأنهم يفعلون الأشياء بأيديهم ويراد بها الفعل من كل الوجوه ، وفى التنزيل (ذلك بما قدمت يداك) وأيضا ان معنى اليد فيها قوة التنفيذ فى العمل ، وان الرجل التى هى القدم عبارة عن القهر والجبروت اذ الانسان لا يطأ برجله الا الشىء الحقير الذى يريد اذلاله واحتقاره بالنسبة لقوته وبطشه ، ولذا يضرب فى الأمثال لأن الانسان يقول فى استخفافه للأمور الصغيرة أفعلها برجلى . وعلى هذا يكون المعنى بالنسبة لجانب الحق عز وجل أنه تعالى يتجلى على النار بقهره فتنزوى .

وعلى هذا يكون معنى العين : أى محل الرعاية والعناية كما يقال ابنك فى عينى . أو مسألتك بين عينى . يعنى هى محل رعايتى وعنايتى بها ، وعلى هذا يحصل التفاهم والتخاطب وفى معنى السمع يكون كناية عن شدة القرب منه تعالى لعبده ، وعلى هذا يكون معنى الضحك لازمة وهو الرضى والاستحسان ، وذلك خير وأحسن تأويلا ، وهو أقوال أفاضل الأمة الاسلامية .

يقول ابن تيمية : انه يروى هذا وهو تفهماته عن السلف . وهاهم أفاضل الأمة يروون عن ابن عباس وغيره من الصحابة فى معنى الآية التى

يستدل بها على أن المراد بالأيدى الجوارح وهم يروون عن هؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . قال القرطبى فى تفسيره : ومعنى (بأيد) أى بقوة وقدرة عن ابن عباس. قل له أين سلفه الذى يروى عنهم؟ وأيضا فى معنى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) أى قوة الله ونصرته فوق قوتهم . قرطبى . هذا هو تفسير السلف الذى يرويه عنهم خيار الأمة من العلماء العاملين المفسرين لكلام رب العالمين . والمراد فى قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) : أى بصفتى ، وذلك من باب تفضل الكريم الرحيم على ابليس اللعين من لفت نظره الى أن السجود ليس للعبادة ، انما هو لشكر الصانع على الصنعة ، ومن شكر الصنعة لجودتها وفضلها ، فقد شكر الصانع لاتقانه لها ، وحسن رعايته بها ، وخاصة أنه لم يكن من أهل الخطاب وقتئذ الا ابليس والملائكة ، والمقرر عقلا ونقلا . ان الملائكة خلقوا بصفة الرحمة ، والجان خلقوا بصفة الغضب ، وفى الحديث القدسى (رحمتى غلبت غضبى) ولمقتضى كماله جل وعلا جمع أثر الصفتين ، فى مخلوق واحد ، وهو آدم عليه السلام ، ولا يجمع بين الضدين الا الاله القادر .

ومع ذلك فقد لفت الحق جل وعلا نظر ابليس الى ذلك فلم يهتد ، ولم يوفق اليه ، بل عوّل على الظاهر المشاهد له بأن هذا السجود لغير الله تعالى .

ومن هنا تعرف أن كل ضال يكون على هذا المبدأ لا يعوّل الا على الظاهر . ويقولون من يذهب الى الولى فقد ذهب الى غير الله تعالى ، ويعتقدون أن الولى يفعل أفعالا غير أفعال الله ، فمن يذهب اليه فقد أشرك بالله ، فهؤلاء على عقيدة وفهم ابليس فهم حزبه وجنده . قال العلامة القرطبى فى تفسيره : المراد باليدين : انما هما صفتان من صفات

ذاته تعالى الرحمة والغضب . وقيل : أراد باليد القدرة . يقال : مالى بهذا الأمر يد ، ومالى بالحمل الثقيل يدان . ويدل عليه أن الخلق لا يقع الا بالقدرة بالاجماع . وقال الشاعر :

تحملت من عفراء ماليس لى به ولا للجبال الراسيات يدان

قرطبى . وهذا ما أجمع عليه علماء التفسير أخذا عن صدر سلف الأمة كما قال العلامة الألوسى فى تفسيره على معنى قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) : أى بقوة . قاله ابن عباس . ومجاهد : وقتادة . اهـ منه . هذا سلف الأمة يا ابن تيمية ويأيها المدعى تقليدهم .

ولولا أن يطول بنا المقام . ويكثر على القارىء الكلام لجئتك بجميع أقوال المفسرين ، وهم أئمة الدين ، ومن أحاطوا بالسنة ، وباللغة العربية . وقد أهلهم الله تعالى لفهم كتابه العزيز ، وأرشدهم الى التبيين لعباده (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) .

النزول والحركة لله عز وجل

أثبت ابن تيمية فى رسالته الثالثة المسماة بالتبيان ضمن مجموعة الرسائل المطبوعة بالمطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ صفحة ٢٢٧ يبين فيها لأتباعه كعادته بالمقدمات التى يثبتها قبل الدخول على الموضوع ، ليثبت للسامع أن القرآن الكريم نطق بما يقول ويعتقد أن هذا هو الحق الذى يجب اتباعه وما عداه باطل . فقال : فى جواز الحركة على الله تعالى والانتقال له تعالى بالنزول والطلوع ، فذكر جميع . ألفاظ . النزول التى فى القرآن من نزول الملائكة ، ونزول المطر ، ونزول الحديد ، ونزول الأنعام ، ونزول الميزان وغيرها ، فأخذ منها معنى حديث « ينزل ربنا الى سماء الدنيا » نزولا حقيقيا . فقال : فقد تبين : ان ليس فى القرآن

ولا فى السنة لفظ نزول الا فيه معنى النزول المعروف ، هذا هو اللائق بالقرآن ، فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا الا بهذا المعنى ، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها ، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى فى معنى آخر الى بيانه ، وهذا لا يجوز بما ذكرنا ، وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى أنه بيَّنه وجعله هدى للناس اهـ .

نقول : قد بيّنا فيما سبق أن كل لفظ عربى يحتمل عدة معان فراجعه . ولا داعى للاطالة . لأن كل لفظ فى معنى الانزال مما ذكر له معنى خاصا يناسب مقامه لا كلها بمعنى واحد كما فهم .

والآن نرد عليه فى اطلاقه معانى النزول فى الألفاظ الواردة فى القرآن الكريم . على الله تعالى . وهذا لا يصح عقلا ولا نقلا ، لأنه لو كان الله تعالى ينزل كما يزعم هذا الغبى ومن تبعه لكان حادثا اذ الحركة والسكون من صفات الحوادث ، وخاصة أن المتحرك لا يتحرك الا فيما يجاوره ويساويه فى الحدوث من الفضاء المحيط به ، والفضاء موجود كوجوده ، فيكون شريكا له فى الوجود حتى يتحرك فيه وينزل ويطلع ، وهذا شأن كل حادث ، والله تعالى منزه عن الحوادث ، لا أول له ، ولا آخر له ، وليس فوقه شىء ، وليس تحته شىء ، وله تعالى السعة الحقيقية ، يعنى أنه تبارك وتعالى غير متناه بالذات ، ومن كان كذلك فالوجود ذاته فأين يتحرك وأين يسكن ، وهو المسكن والمحرك : سبحانه حيث كان وقد قال فيما اعتمد عليه . وضل بظاهره ما ورد فى صحيح السنة ان الله عز وجل ينزل فى كل ليلة من ليالى رمضان الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفر له ؟. حتى يطلع الفجر ، ثم قال فى صحيفة ٢٨٢ : فى الأحاديث الصحيحة « ان الله يدنو عشية عرفة » وفى رواية « الى سماء

الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » وثبت فى الصحيح « ان الله يدنو عشية عرفة » وفى رواية « الى سماء الدنيا فيباهى الملائكة بأهل عرفة فيقول : انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ما أراد هؤلاء » وقد روى « ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان » .

هذا ما اغتر بظاهره ، وضل فى فهم أصله باعتقاده أن الله بذاته يتحرك ، وينزل الى السماء الدنيا فقط ، لأنه جزم بأن الله تعالى لم ينزل الى الأرض قط . قال فى صفحة ٢٨١ : وقد اتفق المسلمون على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينيه فى الأرض ، وأن الله لم ينزل الى الأرض وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه أن الله نزل الى الأرض .

أنظر يا أخى الى هذا الضلال البعيد فى عقيدته فى البارى جل وعلا من أنه تعالى جسم كالأجسام ، ولا يليق به أن ينزل الى الأرض التى هى مأوى النقائص عن خلقه ، والقاذورات التى تصدر منهم وعنهم . وقد سبق قريبا تفصيلنا لذلك وردنا عليه ، وعلى متابعيه الضالين مثله .

ولا يخفى عليك أمره وعقيدته فى ربه الذى وصفه بأوصاف خلقه من جواز الحركة والانتقال عليه ، اذ يقول : أنه جالس أو مستقر أو مستو بذاته فوق عرشه مباين لخلقه ، فى حين أن يقول فى السموات ، وفى حين أن يقول : ينزل الى سماء الدنيا . وقد سبق أنه قرر أن حديث المعراج ما كان للنبى الا أنه عرج الى ربه فوق عرشه . وفى هذه الرسالة صفحة ٢٨١ يقرر أن المعراج ما كان الا مناما ، وعنه أخذ الضالون بأقواله ، وقد تكلموا به فى رسائلهم المعروفة المشهورة . فقال : والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم ، وبنص القرآن والسنة المتواترة

كما قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا فى كثير من طرقه أنه كان رؤيا منام ، مع أن رؤيا الأنبياء وحى لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج اهـ .

أنظر أيها القارىء الكريم الى كلام هذا الضال الذى لم يفطن له الضالون المتابعون له اذ يقول : والمعراج انما كان من مكة . هل الذى كان من مكة الاسراء أو المعراج ؟ ثم يذكر الآية الكريمة الصريحة فى اسرائه ويجعلها دليلا على معراجه !! قل لهذا الغبى ومن على شاكلته ، هل الله عز وجل أسرى به من مكة الى بيت المقدس ، وهناك نومه وعرج بروحه ، اذ الآية صريحة فى الاسراء بالعبد الذى لا يكون الا كاملا بجسمه وروحه ، وهل عرف فى أصول الشرع ، وقواعد الدين ان الله تعالى فرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فرضا لعباده وهو نائم ؟ وهل عرف أن الصلاة فرضت عليه فى الأرض ؟ والا فقد عرف من القرآن والسنة واجماع خيار الأمة بأنها فرضت عليه ليلة الاسراء والمعراج ، وأن العروج ما كان الا لعدة أمور ذكرناها ، منها الحفاوة بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم والاكرام له ، والخصوصية التى لم يشاركه فيها غيره من جميع اخوانه الأنبياء والمرسلين ، ولم يكن من شىء من مكونات الحق عز وجل الا وقد أطلعه عليه حتى يتحقق قوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهل يقول الحق عز وجل فى النائم (ما زاغ البصر وما طغى) وقد ضل الضال بأن الله ما عرج بنبيه اليه عنده الا لكونه تعالى فوق العرش ، وخفى عليه أن الصلاة هى جماع أنواع العبادات التى شرعها لعباده من أهل الأرضين والسموات . فقد جعل لفرضيتها عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مكانا ساميا خاصا يليق بهما . وقد فهم الكثير من الناس

من قول موسى عليه السلام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « ارجع الى ربك » أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفارق موسى عليه السلام ويرجع الى المكان الذى فرضت فيه الصلاة وهذا خطأ محض ، والحق أن قول سيدنا موسى عليه السلام ارجع الى ربك معناه التجىء اليه ، فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلتجىء الى الله فيحط منها على ما ورد ، والا فهما عليهما الصلاة والسلام يعرفان أن الله تعالى معهما وأن سنته تعالى مع عباده أن يطلبوا منه ويؤيد ذلك ما جاء فى الرواية ، أنهما عليهما الصلاة والسلام فى آخر مرة سمعا خطاب الحق عز وجل وهما فى السماء السادسة عليهما الصلاة والسلام « أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى ، فهى خمس فى الفعل وخمسون فى الأجر » هذا هو البيان الحق يأيها الضالون المتابعون للضال ، المتضارب فى كلامه ، المضطرب فى ألفاظه وأقواله ، الذى لم يفرق بين الاسراء والمعراج (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

العندية والمجىء

يظن الغمر أن لله جهة ، وله جسم ، وله مكان حتى انه جعل جميع ألفاظ القرآن التى منها لفظ (عند ربك) يعنى بها فى مكانه وبجواره ، كقوله تعالى (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقوله تعالى (عند ربهم يرزقون) وغير ذلك من جميع الآى التى تشبه ذلك ، والأحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « ان الله كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى » وفى رواية « سبقت غضبى » فظن الجهول ان العندية عندية مكان ، وهى مستحيلة بالنسبة له تعالى ، وانما هى عندية مكانة بمعنى التشريف والتعظيم ،

وهو المعنى المعقول المناسب لذاته تعالى المنزهة عن المعان ، ومعنى « فى كتابه » : أى المنسوب اليه تعالى الذى لا يطلع عليه غيره ، فهو مما استأثر بعلمه تعالى « وفوق العرش » : أى دونه ، لأن العرش أكبر المخلوقات بدليل (رب العرش العظيم) . (ورب العرش الكريم) . فيكون معنى « فوقه » : أى دونه ، بدليل قوله تعالى (ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) : أى مما دونها ، لعله اتضح لك ما ضل فيه هو ، واستبان لك السبيل فيما جهل وعمى عليه (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

وفى المجىء الذى ضل به وفيه المذكور فى قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وفى الحديث « هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه » اذ المجىء والذهاب من صفات الحوادث ، التى من شأنها السعي والمشى ، والغدو والرواح من تلك الصفات التى هى مستحيلة عليه تعالى فيكون المجىء فى الآية الكريمة أمر ربك يعنى صدوره وفى الحديث « التجلى لعباده بصفات تشاهد بالعين فيضل بها الضال فى الدنيا . وأما المؤمن يعرف بأن الله تعالى لا يرى بالأبصار بل بجميع الجوارح فيقول (هذا مكاننا فاذا جاء ربنا عرفناه) فاذا تجلى عليهم الحق عز وجل بالرؤية التى يعرفونها من العلم والدين فى الدنيا (فيقولون : أنت ربنا) كما يشهد لذلك العقل السليم ، والنقل المحكم (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون) .

العجب العجاب

ومن عجيب ما تقرؤه عن هذا الضالومن علىمبادئه الخاطئة ، بعد أن يصف الحق تبارك وتعالى بما جاء فى كلامه العزيز على ما فهم أنه تعالى

له صفات الحوادث . قوله مضللا لمتابعيه (ليس كمثله شيء) ظنا منه أن ذلك يخرجه من ورطة تمثيله لربه بصفات المخلوقين ، وسينجلى لك أنه حين أورد هذه الآية غير مهتد فى فهمها ، وضلالاته فيها أشنع وأفظع من ضلالاته فى صفات الحق التى نزل فيها الى الدرك الأسفل من الجهل والتخبط لأنه على ما يفهم ، وغايته أن الحق تبارك وتعالى ليس لذاته مثيل ، ولا لصفاته ، ولا لأفعاله .

وكيف هذا وقد وصفه بفهمه الضال بأن ذاته فوق عرشه مباين لخلقه فى سمائه لا ينزل الى الأرض ، وله الجهة ، والمكان ، والجوارح ، وأن أوصافه تعالى هى ماجاءت فى القرآن وما هى الا منطبقة على أوصاف البشر تماما . ولم يفرق بين المثل والممثل به والممثل له . ومن المعلوم عقلا ونقلا أنه تعالى ما ضرب الأمثال فى كل شيء الا للبيان والايضاح فى المقام الممثل له ليقرب المعنى للعقل البشرى ، فيصل به الى المعنى المراد ، لأن الممثل به انما هى صفات البشر للعلم بها بالمشاهدة ولولاها لما عرف المثل ، وهل الممثل به يكون كالممثل له من كل الوجوه ؟ كلا ! بل لا بد وأن يكون فيه ما يلائمه ، وهو لازمه حيث انه لا ينطبق عليه من كل وجه والا لما كان مثلا يحتاج الى ذكره .

وحكمة ذكر المثل فى الكلام العزيز . لائتلاف العرب ذلك ، وقد اعتادوه فى جميع كلامهم ، ولا يكون حسنا الا به . وفى ضرب الأمثال زيادة فى الكشف وتقوية للبيان . ويضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى . فى ابراز خبايا المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المتحقق ، والمتوهم . فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لثورة الجامح الأبى .

ولأمر ما أكثر الله تعالى فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء . قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) ومن سور الانجيل سورة الأمثال .

والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل . وهو النظير . يقال : مثل ، ومثل ، ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل .

ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتناول والقبول ، الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه ، وحمى من التغيير ، وهو بمعنى . المثل والمثل والمثيل . كشاف . هذا وقد استشهد بالآية التى بينها وبين عقيدته تمام المباينة ؛ لأنه كيف يجرى عليه تعالى صفات الحوادث ثم يقول بعدها (ليس كمثله شىء) فقل له: أنت وصفت الله تعالى بالجسمية ، وهذه صفة الحوادث ، ولم نعرف ذلك الا منهم ، ووصفته تعالى بالاختصاص بالأمكنة على العرش أو فى السموات ولا ينزل الى الأرض ، وهذه صفة الحوادث أيضا ؛ لأنهم هم الذين يختصون بذلك ، وما خلقت الأمكنة الا لهم ، ولم يعرف ، ولم يميز بعضهم عن بعض الا بها ، ووصفته تعالى بالجوارح ، وهى صفة الحوادث ولم تعرف الا بها ، ووصفته تعالى بالحركة ، وقلت قولتك الفاحشة المشهورة انه تعالى ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزلت الدرجة والدرجتين من منبرك المشئوم على ما قاله ابن بطوطة ! فما معنى أخذك بعد هذا بقوله عز وجل (ليس كمثله شىء) أفبعد هذا شىء مثل الجهل الذى ينبو عنه جهل البهيمة العجماء ؟ وكيف يكون القار فى مكان وهو ذويد ورجل ورأس وما حوى وظهر وبطن وغيرها

من باقى الجوارح ليس مثيلا لمن له تلك الجوارح ؟ وهذا ما يفهمه كل عاقل من العقلاء ، والا فما معنى المثلية عنده ؟ اللهم الا أن يكون الحاكم الخبل والجنون الذى لا يفرق بين الشىء وضـــده ، ولا بين النفى والاثبات ، ولو صح أن يكون هذا حكما لصح أن نقول فى كل آدمى (ليس كمثله شيء) وهنا الطامة الكبرى من التخبط والاختبال المفضى الى مذهب من مذاهب اللاأدرية ، اذ يقولون فى الشيء الواحـد وفى الآن الواحد النفى والاثبات ، جريا على أن الشيء تحت الاعتقاد ، فان شئت جعلته مثلا ، وان شئت جعلته غير مثل ، واذا لم يكن مثلك حقيقيا بالأغلال والأصفاد والسجن والتنكيل فمن ذا يكون لذلك أهلا الا المجنون الذى لا يعقل المثل والمباين ، ؟! حقا انه رمز ابليس ، وعنوان الخبل ، ماترك كبيرة ولا صغيرة من المفتريات ، والمتناقضات ومذاهب جميع الفرق المخالفة المارقة من الدين الا وقد أتى بها فى جميع كتاباته ، ورسالاته التى تلقاها ونقلها عنه الضالون الذين هم على تلك المبادىء الخاطئة ، ليستمر الضلال ضد الحق الى يوم الدين (ذلك تقدير العزيز العليم) .

ومعنى (ليس كمثله شيء) كما عليه أهل الحق والتحقيق من علماء الأمة الاسلامية تقول :

لا يخفى عليك أن القرآن عربى وبلسان العرب جاء ، وبما يتعارفون ويتخاطبون خاطبهم الحق عز وجل على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يفهمون ، وهو أنه سبحانه وتعالى ليس له مثل ولا شبه ولا نظير . فلو كان له تعالى مثل أو شبه أو نظير ، لانتفت عن هذا المثل هذه الأوصاف ، فيكون انتفاؤها عنه جل وعلا من باب أولى ، كما تقول فى المثل العربى : مثلك لا يبخل ، فنفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون

نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك . فسلكوا به طريق الكناية ؛ لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه . كشاف . هذا هو المختار عند جميع المفسرين للقرآن الكريم فراجع ما شئت عليها . ولولا خشية الاطالة لجئتك بجميعها ، لتعرف من هنا أن الضال يترك الأمة الموحدة جملة ، ويتبع رأيه الفاسد ، وهواه المضل ، ويااليته وقع فى الضلال وحده ، بل لابد أن يضلل معه أتباعه لسبق شقوتهم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

ومما هو من الغرابة والضلالة بمكان أنك اذا ضيقت على الواحد منهم وهو يصف الحق سبحانه وتعالى بضلالاته يقول لك : (ليس كمثله شىء) : أى له صفات لا يعلمها الا هو ، أو بما يليق به . فحال الضال منهم كحال من اذا سئل عن رجل هل هو فى البيت ؟ فيقول : نعم لكن لا أدرى ! فيوقع السائل فى حيرة ، وهكذا حالهم ، يثبتون وينفون كما قال العلامة القرطبى ، وسنبين ذلك عند كل مناسبة (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

الفصل الثالث

فى معرفة الخير والشر من أين يظهر

مما لا يخفى على كل ذى عقل متعقل أن الله تبارك وتعالى هو الخالق للخير والشر اذ هما مندرجان تحت قوله تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وفى قوله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) والمراد بالزوجين المتقابلان ، فالوجود كله على المقابلة والمماثلة وليس المراد بالمقابلة والمماثلة الجهات الست فحسب وهى أمام ، وخلف ، ويمين ، وشمال ، وفوق وتحت ، بل ما يعم كل متقابلين كالذكر والأنثى

وماشاكل ذلك من النور والظلمة والسواد والبياض والليل والنهار والنوم واليقظة والصحة والمرض والغنى والفقر والكرم والبخل والجبن والجرأة والمرارة والحلاوة والشقاوة والسعادة وما شاكل ذلك فى كل الموجودات حسية كانت أو معنوية بل فى كل ذرة من ذرات الموجودات المتصل منها والمنفصل ومن أهم الموجود الدنيا والآخرة فالدنيا فيها الخير والشر مما ذكرنا ومالم نذكر والآخرة كذلك بل فى كل ذرة من ذرات الموجود فيهما كذلك — وهذا على مقتضى كما له جل وعلا لأنه تعالى لو أوجد الخير الصرف ما عرف سبحانه بكامل صفاته ولم يعرف ما يقابل الخير وهو الشر فكان الوجود على هذا الوضع الكمالى منه جل وعلا من أكبر الحكم العالية فى تكوينه الموجودات (فتبارك الله أحسن الخالقين) وخاصة العقول البشرية التى بها امتاز بنو البشر عن جميع مافى الوجود وعليه كانت حكمة ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولو لم يوجد الله تعالى المقابل لكان ذلك يشعر بفقدانه له اذ فاقد الشىء لا يعطيه وهو محال عليه سبحانه وتعالى لمنافاته لكماله جل وعلا (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) .

واعلم أن مبدأ الوجود . هو الحق المخلوق به فيما أبانه لنا سبحانه وتعالى على الخير الصرف وهو الأصل لكل مكون وبه ومنه أبدع الله المكونات فكانت على ذلك المبدأ الذى لا يرى ولا يعرف للعارفين من العقلاء الا بالخير الصرف ولكنهم لا يجهلون أن مقابله كمين فيه وببديع صنعته جل وعلا لا يرى ولا يعرف ما يقابل الخير الا اذا ظهر منه ، يعنى أنه لا يظهر ذلك الشر الكامن فى الخير كمون الملح فى الفاكهة وكذا مايقابله فى زيادة الاستعمال أو الاستمرار عليه زمنا فلا يظهر ذلك الشر

الا اذا أوجب الله تبارك وتعالى الخير أولا وبوجوده يظهر الشر اما منه أو مما يقابله فى مخلوق آخر دفعة واحدة مقابلا مضادا للخير كما فى آدم عليه السلام ظهر الشر المخلوق لمقابلته وهو ابليس عليه اللعنة مقابلة تامة لا ينقص أحدهما عن الآخر شيئا فى تكوينه ، وان كان أفراد الشر فيما يتراءى لنا أنه أكثر ولكن الخير القليل بمعونته له تعالى يغالب الشر كما وكيفا قال تعالى فى الآية العامة لكل متقابلين (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وقال تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) فهو سبحانه وتعالى الخالق للخير والشر وحده لا شريك له — أو قد يكون مصدر الشر واحدا وهو الخير وهو المشاهد الكثير ، فهذا آدم أبو البشر عليه السلام وهو خليفة الله تعالى فى الأرض كان أبا للأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والأولياء المكرمين والطيبين من المؤمنين — وأبا للمشركين والكافرين والمجوس والنصاري واليهود والصابئين ومن يعتقد فى الطبيعة وتأثيرها فى المولدات من الفلاسفة ومن يعتقد بعدم وجود اله — فمصدر هذا الشر هو مصدر الخير (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ولما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام (انى جاعلك للناس اماما — قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين) .

لعله قد استبان لك أن مصـــدر الشر هو الخير الصرف — وقد سئلت فى هذا المعنى فأجبت السائل فتعجب لذلك فضربت له مثلا هل لك ابن ؟ قال نعم . قلت له هل كبير متزوج ؟ قال نعم . قلت له . لما ولد هذا الأبن كيف كان سرورك به ؟ قال عظيما قلت له طبعا أخذت فى

الاعتناء به من العناية والرعاية والتربية والتعليم بكل مافى وسعك من قوة حتى بلغ النهاية المعتادة وأثمر وزوجته وهذا طبعا خير واحسان منك اليه قال نعم . قلت له هل يجيئك بالثمرة أو يذهب بها لزوجته ؟ قال بل لزوجته . قلت له هل هذا خير لك أو شر ؟ فقال بل شر . قلت له مصدره صنعك الخير له فاقتنع وسكت وقلت له هكذا سنة الله تعالى فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وأعلم أن الخير هو المراد للحق عز وجل من عباده وهو الذى يحبه من عباده ، ولعباده وقد أمرهم به تعالى على لسان أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وهو ما يسمى بالطاعة والبر له تبارك وتعالى قال عز من قائل (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى انما أحببت المحبة الشديدة للخير عن ذكر ربى وأمره به تعالى على ما قرره الامام الفخر والعلامة الألوسى ، وفى الحديث الشريف وقد سئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن الخير والشر بعنوان البر والاثم فقال : (البر ماحاك فى صدرك وودت أن يطلع الناس عليه ، والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه) .

وان كان لفظ الخير جاء فى القرآن الكريم بمعنى المال لحب الناس له الحب الشديد لما فيه من مصالحهم قال تعالى (وما أنفقتم من خير) وقال تعالى (وانه لحب الخير لشديد) وقال تعالى (ان ترك خيرا الوصية) وقد سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه فى الوصية فقال للسائل « ان مالك ليس بكثير » يعنى أن المال القليل لا يسمى خيرا كثيرا على رأى بعض العلماء .

لعلك قد عرفت أن الشر أصله ومصدره الخير ، ولولا الخير ما عرف الشر ولا ظهر وانا قد ذكرنا لك سابقا مسألة سيدنا عمر رضى الله تعالى

عنه ووأده لابنته ، وابليس عليه اللعنة وما كان فيه قبل آدم ، ومقابلته لآدم عليه السلام بالشر ، وبينا لك هناك ، ان الله تعالى يخلق الموجود من الآدميين ولا تعرف ما خلق لأجله الا بأعماله وما يظهر منه من الخير والشر وبهما تكون نتيجة الشقاوة أو السعادة ولكن لا يميز الخير عن الشر الا بميله لأحدهما بفطرته وطبيعته وان كان فيما يظهر للناس أنه فى الشر أكثر وأظهر ولكنه يكون منكرا على نفسه راجيا توطئتها وخروجها عن هذا الشر الذى هو فيه الى الخير ، لحبه لذلك بطبيعته وفطرته حتى يجيء الزمن الذى شاء الله تعالى فيه خروجه من الشر الصرف الى الخير الصرف قال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد يخلقه أيضا ولا تعرف ما خلق لأجله الا بعمله فيما يبدو للناس بأن خيره أكثر من شره ولكن بفطرته وطبيعته للشر أحب ، فاذا جاء الزمن الذى يشاء الله تعالى فيه اظهار الشر الصرف يقلع عن الخير مطلقا الى الشر المطلق قال تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون) وفى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند أصحاب السنن والمسانيد أنه قال « وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وهاهم الضالون والمارقون والخوارج عما أجمع عليه المسلمون نرى الواحد منهم فى صغره يذهب به الى تحفيظ القرآن الكريم وبعده الى علوم القرآن وهذا خير ، ثم يذهب به الى تلقى العلوم الشرعية

ووسائلها ثم العلوم العربية ومستلزماتها وهذا أيضا خير ثم الى تفسير القرآن المجيد ومعانى السنة المطهرة وهذا أيضا خير ، لكن فى سيره فى ذلك التعليم الظاهر بأنه كله خير فمن كان منّ أهل السعادة أزلا فهو لا يزال مستمرا فى هذا الخير عاكفا عليه فلا يحيد عنه ودائما بميله ونظرته وطبيعته يجنح الى حب الاستطلاع الى ما أجمع عليه علماء الأمة الاسلامية وهى السواد الأعظم من المسلمين لا يلتفت ولا يبالى لآراء وكتب المخالفين من الفرق والشراذم المارقين الخارجين عن اجماع المسلمين وان صادفه من مبادئهم فى كتب أهل الخير والاجماع شىء يعرف أنه ما جىء به الا للحذر منه ولمعرفة الردود عليهم من أهل الخير ليقاوموا أو يقطعوا حجة المخالف بالأدلة العقلية والنقلية سواء كان ذلك الرد مكتوبا فى كتب أهل الاجماع أم يسمعه من أفواه أهل الخير فيعرف كيف يرد على المخالفين والخارجين عن أهل الاجماع فيتبعه قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هى أولوا الألباب) .

وأما من غلبت عليه شقوته منهم فتجده مع سيره فى الخير واستماعه واطلاعه عليه ، نزاعا الى حب الاستطلاع على كتب المخالفين لاجماع المسلمين والخوارج عنهم ميالا الى ذلك بطبعه وفطرته التى خلقه الله عليها فلا يحيد عنها ودائما يعكف عليها ويقول بها فى أثناء طلبه للخير والسير فيه . كابن عبد الوهاب وما كان عليه وحاول والده وأخوه الشيخ محمد ابن سليمان عليهما الرحمة أن يرجعاه عن ذلك فلم يستطيعا وكانا يحذران الناس من سماع أقواله وضيقا وشددا عليه الى أن خرج الى عرب الدرعية فوجد أهلا وسهلا وأرضا صالحة لانبات تلك البذور السيئة الخاطئة فأسس بها دعوته ، وسبب شهرتها أنه قد عمر فزادت بها شهرته

قال تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) .

وهذا لا يخفى على ذوى القلوب النيرة والعقول السليمة المميزة الراجحة ، ان من مقتضيات كمال الحق جل وعلا وجود الموجودات على حالتين فى كل شيء ، حتى فى العقائد والايمان ليتم بذلك النظام الكونى فى هذه الحياة ، وفى العقبى كذلك . ولهذا جعل للضلال دعاة لا ينقطعون عن هذه الدعوة ما بقيت الدنيا وسماهم حزب الشيطان ويزعمون أنهم على الحق ، وعليه يقولون ، وبه يعملون ، واليه يدعون (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) كما هو زعم ابليس ، وعقيدته .

وللحق أيضا دعاة لا ينقطعون عن الدعوة اليه ما بقيت الدنيا ، وبه يقولون ، وعليه يعملون ، واليه يدعون وسماهم حزب الله (ألا ان حزب الله هم الغالبون) (كل حزب بما لديهم فرحون) (زينا لكل أمة عملهم) (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) .

هنا يقف الحيران مكتوف اليدين فلا يدرى أى الفريقين أحق بالأمن .

فبتوفيقه تعالى أرشده الى الحق والى طريق مستقيم ، وهو ما عليه الجماعة وهم أهل الاجماع . وقد سماهم الحق عز وجل بالأمة ، وهم السواد الأعظم من المسلمين ، وأمر عباده باتباعهم ، وجعل اتباعهم واجبا على كل من يطلب الحق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، وأوعد مخالفيهم الوعيد الشديد بقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقد بينهم صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنته المطهرة بقوله

« وستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة » قالوا : ما هى يا رسول الله . قال « الجماعة » وفى رواية « السواد الأعظم » وفى أخرى « ما عليه أنا وأصحابى » الحديث يرويه البخارى وغيره وهذه الأمة قد عصمها الله تعالى من الضلالة بدعوة نبيها بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على الضلالة فأعطانيها » رواه الامام أحمد وفى أخرى « لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة » وفى أخرى « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وفى أخرى « قيد شعرة » وفى أخرى « يد الله مع الجماعة » وفى أخرى « من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية » .

فيا أخى من خالف هؤلاء فهو من الفرق التى سماها الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم . فأنت بنور الايمان تبصر ، فمن وجدته مخالفا للاجماع فعده من الفرق المارقة بدون أن تسأل عنه ؛ لأنه لابد وأن تجده مخالفا ولو فى ناحية من النواحى ، فهذا لم يرض بحكم الله ورسوله ، ولم يوافقهم عليه فى البيان لعباده ، فهو على مبدأ من أسس لهم هذه الضلالات ، وهو ابليس وبالمخالف يعملون .

وانى أذكر لك من على تلك المبادىء ، فانظر الى ابن تيمية كان فى أواخر القرن السابع ومات فى أوائل الثامن سنة ٧٢٨ هـ . وقد بينا لك كلامه من كتبه فى معرفة الحق جل وعلا ، وسنذكر لك نبذة من تاريخه وتاريخ من فتن من الناس بعده قريبا ان شاء الله تعالى ، وهاك شيئا من كتب من على تلك المبادىء من أهل هذا العصر الذين يدعون الى تلك المبادىء وبها يعملون قال رئيسهم الداعية لهم الآن فى مجلته التى سماها بالهدى النبوى ، وهو اسم كتاب لابن قيم الجوزية ، فى العدد

٢٨ شهر رجب سنة ١٣٥٨ هـ الجزء الرابع من السنة الثالثة تحت عنوان « تفسير القرآن الحكيم » يفسر فيه من القرآن من قول الله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء) الآية. وأخذ يجمع جميع الآى التى فيها استوى لهذه المناسبة ويفسرها بأن الله تعالى فى السماء وعلى العرش ، فيقول فى صفحة ١٦ من هذا العدد : ان الاجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازا. وأخذ يسرد من أقوال الضالين السابقين له فى الضلالة ، اذ يقول مضللا لأتباعه ان الاجماع منعقد على ذلك . ما هو الاجماع ياشيخ ؟ هل هم السواد الأعظم من خيار المسلمين ! أو هم الشرذمة الأقليـة من فرق الضالين ؟ وهكذا كتاباته ، ومحاضراته ، ودروسه ، يموه فيها ويضلل البسطاء ، والبرءاء ، وضعفاء الايمان من العوام الأميين وغيرهم ممن لايعرفون شيئا عن الدين ورجاله . وفى آخره صفحة ١٨ وقع بامضائه ذلك التوقيع المشهور الذى أوخذ به ، ولولا شفاعة الشافعين . لهلك مع الهالكين ، وهذا نص التوقيع : كتبه الفقير الى عفو الله المتسوى بذاته فوق عرشه !! فانظر يا أخى فى هذا الحاضر اللاحق ، وما قدمناه من السابق وقارن بينهما .

مضحك ومؤلم

من المتعارف بين الناس فى الأمثال : أن شر البلية ما يضحك : شاء ربك لحكمه العاليـة أن يوفق الشيخ .. لطبع كتاب ونشره لعثمـان الدارمى ، يرد فيه على بشر المريسى فى مواجهة تلميـذه ابن الثلجى الطبعة الأولى بالمطبعة المسماة بمطبعة أنصار السنة — عن نسخة قديمة مكتوبة فى سنة ٧١١ هـ بتحقيق ذلك الشيخ . وقد كتب له مقدمة بخطه

قال فيها منتقدا علم وعلماء التوحيد فى صفحة « ز » وسماه علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان فى الالهيات وزخرفوها بشتى الوسائل من أنها موافقة للمعقول ، وأنه من العار على الانسان أن يلغى عقله ولا يحكمه فى منقول العلوم ، ولا بد أن يكون له سلطان على كل شيء حتى فى صفات الله وأسمائه والدار الآخرة وشئونها ، وما أعد فيها لأهلها .

فانظر يا أخى الى هذا الشيخ الذى ينتقد علماء الاسلام ورجال الدين الأعلام الذين أقاموا البراهين العقلية ، المتفقة مع الأدلة النقلية ، على معرفة وتنزيه خالق البرية . ويسمى علم التوحيد فى دروسه : بعلم التوحيد . استهزاء وسخرية ، وفى الوقت نفسه نجده شارحا لكتاب ابن عبد الوهاب بل كتابيه فى علم التوحيد ، فلست أدرى كيف ينكر علم التوحيد للأمة الناجية ويعتقد ويقر كتب المخالفين ؛ الذين يقررون لله تعالى صفات الحوادث ، والمكان ، والجهة ، والحركة ، وخيار الأمة الاسلامية ينفون ذلك عنه جل وعلا بالبرهان العقلى والنقلى . وهذا يتبع المخالفين الذين يأخذون بظاهر اللفظ من القرآن فى صفات الحق جل وعلا ويتأولونه فى غيرها ، ولو كان الظاهر فى نظرهم يجيز على الله الحدوث اعتقدوه ، ويقولون (ليس كمثله شيء) وهم لا يعرفون معناها كما قدمنا .

يقول ذلك الشيخ فى هذه المقدمة بعد أن كتب وبرهن على أن هذا الكتاب من أجل الكتب وأعظمها كما قال ذلك ابن قيم الجوزية . وشيخه وصاحبه ابن تيمية يمتدحان هذا السفر الجليل ، فاذا هو ينتقد هذا المؤلف انتقاد المحب المؤيد . قال فى صفحة (ك) والتى تليها : وهو فى الواقع كما قالوا : لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه اليها عنف الرد

وشدة الحرص على اثبات صفات الله وأسمائه التى كان يبالغ بشر المريسى الضال المارق وشيعته فى نفيها ، ثم يقول مقترحا على من أسس له ولابن تيمية ولابن قيم الجوزية الضلالات : « غير أنه كان الأولى والأحسن أن لا يأتى بها ، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة : كمثل الجسم ، والمكان ، والحيز !!!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !!! أهذه الصفات « الجسم والمكان والحيز » هى الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة ؟ !! وهل بعد ذلك تريد أيها القارىء برهانا قاطعا على هذا الضلال البعيد والكفر الصريح!.

ولتزداد أيها القارىء ، يقينا بهذا الحكم عليه أحيلك على مجلة المسلم فقد ذكرت بالعدد السابع من السنة السابعة محاكمته على هذه المقدمة المكفرة بناء على الدعوى التى أقامها عليه أفاضل علماء الأزهر ولولا شفاعة الشافعين لكان عبرة للمعتبرين . ومع ذلك لم يبرأ من دائه الدفين ولم يرجع عن ضلاله المبين بل قال بعد ذلك فى مجلته التى يسميها بالهدى النبوى بتاريخ رجب ١٣٥٨ ص ١٨ جزء ٤ من السنة الثالثة ما نصه : كتبه الفقير الى عفو الله المستوى بذاته على عرشه ، ونشر بهذا العدد مقالا لأحد أتباعه المحامى الشرعى ، جاء فيه أنه تعالى مستقر بذاته على عرشه .

فهؤلاء قد أشربت قلوبهم هذا الضلال الذى لا شفاء لهم منه ، فحق عليهم قول ربهم « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم » .

وهذه نبذة له أيضا فى ذلك الكتاب صفحة ٤ قال الدارمى يرد على بشر المريسى فى مواجهة تلميذه ابن الثلجى : وكيف يهتدى بشر للتوحيد وهو لا يعرف مكان واحده ؟ قال الشيخ .. مبينا بتعليقه فى أسفل

الصفحة : كان خيرا لو قال (أين) ولم يقل (مكان) ينتقد الشيخ من يسميه بالامام الدارمى ويخطئه فى قوله : مكان واحدة ، ويقول : كان الأولى له أن يقول : أين واحدة ، ولا يعرف الشيخ معنى لفظ أين الذى تركه أمامه ، لأنه يستفهم به عن المكان . وكأن الشيخ لم يعرف للمقولات فى الحكمة والفلسفة طريقا اذ فيها : من الألفاظ الموضوعة من لفظ . كيف . ومتى . وما . وأين لا يشار بها الا للحوادث ، واطلاقها على الله تعالى محال . وربما يتوهم الغمر أن له مستندا يرتكز عليه فى معنى « أين » على ما ورد فى بعض الأخبار من حديث الجارية من قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم « أين الله » فما هو الا من باب أعلى طبقات البلاغة ، وحسن الخطاب ، بالقاء الكلام الى السامع بحسب المتعارف له وفهم الخطاب ، وهو على ما كانوا يعتقدون بأن الله فى السماء ، وخاصة أنهم حديثو عهد بكفر ، ولمثل هـذا حكى الحق عز وجل من سؤال فرعون لسيدنا موسى فى قوله (وما رب العالمين) ومن المعلوم عقلا ونقلا ، أن « ما » لا يسأل بها الا عن الحقيقة . وسيدنا موسى عليه السلام يعرف غرض السائل وحقيقة السؤال فجنح بالسائل الى ما هو أليق وأنسب بالمسئول عنه فأجابه بآثار صفاته تعالى وخصوصياته التى لم يشاركه فيها أحد بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) ولم يجبه بحقيقة ما وضعت له « ما » التى هى أخت « أين » فى الوضع يأيها الداعى لتلك المبادىء ، لا كما فهمت أنت ، فلو وقع هذا السؤال من فرعون لك لقلت له كما تعتقد ، أنه جسم ، وفوق العرش ، وفى السموات ، وينزل ويطلع كأنه جان ، ولكن كل اللوم على فرعون الذى لم ينتظرك حتى تجيئه فى آخر الأمة المحمدية أنت ومن معك على تلك المعرفة الخاطئة لرب العالمين . فكنت وافقته ووافقك على تلك العقيدة الخاطئة .

على أن « مكان » التى أردت تغييرها « بأين » هى أوضح من « أين » لأن « أين » تحتاج الى توضيح فلا تفسر الا بالمكان الذى تعتقد أن الحق جل وعلا فيه . ولكن امامك الدارمى ذكر مكان واحده وهو أفصح بيانا منك .

لعلك أيها القارىء الكريم عرفت مما تقدم لك من كتابات ذلك الشيخ فى مجلته ومقدمته لطبع كتاب الدارمى وتعليقاته عليه وشروحه لكتب ابن عبد الوهاب وتعليقاته على رسائلهم أنه هو على مبدأ أسلافه الضالين .

ولعلك فهمت من طبعه لهذا الكتاب المعنون له بالعنوان الفخم الضخم الذى ينطبق عليه قول القائل :

لا تعجبنك أثواب على رجل
فهى بالماء والصابون نظيفة
تشبه البيضة لما فسدت
قشرها أبيض وقلبها جيفة

وخاصة أنه قد امتدحه ، كما امتدحه سابقاه ، ابن تيمية وابن قيم الجوزية على ما بين هو لأن الكتاب سابق لهما . وما هما الا آخذان منه لأن المبدأ واحد ، والعقيدة واحدة ، وخاصة كتاباته أى ذلك الشيخ على كليمات ابن عبد الوهاب التى يسمونها برسالة التوحيد الخالص وما هى الا نص الآيات التى ذكرناها عن ابن تيمية ، وهكذا جميع من ينتمى منهم الى تلك المبادىء الخاطئة ، ويكفرون المسلمين ويجعلونهم من المشركين ، وخاصة الآيات التى نزلت بشأن المشركين والكافرين الذين رد الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز ، وبين لهم أن عبادتهم لهم هى عين الكفر والاشراك ، ويؤولونها هم ، ويصرفون

معناها الى البرءاء من المسلمين المخلصين فى زياراتهم لمن يحبهم الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويجعلون الزيارة كالعبادة للأصنام ، ولم يفرقوا بين الزيارة والعبادة ، ومن طمس بصائرهم يسمون مناجاة الأحياء للأموات دعاء ، ويقولون : ان الدعاء مخ العبادة ، فهم يدعونهم كأنهم يعبدونهم ، ولو كان كذلك لكان كل مناجاة عبادة . لدون الله ، واشراكا معه ، وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى فى فصل خاص . هذا وتراهم جميعا فى جميع مؤلفاتهم ، ومحاضراتهم ، ودروسهم ، وخاصة فى معرفة الله تعالى لا يذكرون الا هذه الآيات ، ويضللون البسطاء والضعفاء من المؤمنين فى معانيها ، ويخرجون بهم عن الجادة والطريق المستقيم الى ما يمليه عليهم الشيطان الرجيم ، ويقولون لهم : هذا كلام رب العالمين ، وهذا معناه ، فلا يستطيع الجاهل الا أن يصدق بكلام رب العالمين ، وحديث سيد المرسلين ، وهكذا كلهم جميعا على مبدأ واحد ، وعقيدة واحدة ، ولولا خشية الاطالة والملل للقارىء والسامع لذكرت لك سلسلة الضالين ومن هو فيهم من البارزين ، من وقتنا هذا الى القدرية والخوارج الى المنافقين الى الكفار حزب الشيطان المعارض لجميع الأنبياء والمرسلين ، والعلماء العاملين ، الى يوم الدين . (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) .

الدليل أقوى برهان

والحجة تقوى بالمشاهدة والعيان

غير خاف على القارىء الكريم أنا قد ذكرنا مرارا أن ابن تيمية هو الذى قد ظهر وبرز لجمع جميع المخالف من كتب الضالين الخارجين عن اجماع المسلمين من الصدر الأول الى وقته .

ولئلا تظن أنى مبالغ فى العداوة لهم ولابن تيمية ولمن يعظمونه بدون دليل ولا برهان ، فهـا أنا ذا أثبت لك الدليـل والبرهان على جميع ما ذكرته من المخالفة والضلال ، وأن كل من سماه ضالا مضـلا من معاصريه ومن بعدهم من خيار الأمة الاسـلامية ، فهو محق فى ذلك ويثاب علي قوله انه ضال مضل ، ومن تبعه كذلك ليتميز الخبيث من الطيب ، والحق من الضلال . وها هو أحد البراهين الآن بين يديك ويمكنك الاطلاع عليه ، وخاصة أن الله تعالى قد قضى على الشيخ ... بطبعه ونشره وتسهيل الثمن للاطلاع عليه لتعرف ما هو فيه وما هو مشتمل عليه ، وخاصة أن ذلك الشيخ ممن قد نقل عنه ، كما أخذ ابن تيمية منه وقد قال عنه الشيخ الناشر لتلك المبادىء والداعى لها قال : **وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يوصى به أشد الوصية، وابن قيم الجوزية** فى كتابه الجيوش الاسلامية يوصى به أيضا .

فانظر يا أخى الى ما جاء بهذا الكتاب الذى يمتدحه هؤلاء المخالفون فهو يقول فى صفحة ٢٠ : « الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك اذا شاء، وينزل ويرتفع اذا شاء ، ويجلس اذا شاء ؛ لأن ذلك هو الفـارق بين الحى والميت » .

هذا ما جاء بالذى امتدحه الامامان الجليلان ابن تيمية وابن قيم . والشيخ الناشر شيخ أهل التخريف والتحريف ، وان تشأ فقل تلميذ هؤلاء الأئمة ، وتأمل وصفهم للبارى جـل وعلا بأن جعـلوه كالآلة المتحركة ، ولم يتعقلوا أن الذى يتحرك فيه ومنه وهو المكان والزمان يكونان موجودين معه ، وهو منفصل عنهما ومباين لهما ، فيكونان شريكين للبارى جل وعلا فى الوجود ، وقد قلنا فى ردنا على ابن تيمية عند قوله التحرك والمجىء قريبا ، أعلم أنه قد ثبت بالدليل العقلى المستفاد

من الدليل النقلى أن الحركة على الله تعالى محال ؛ لأن كل ما كان كذلك كان جسما ، والجسم يستحيل أن يكون أزليا . هذا وان النزول والتحرك يتوقفان على ثلاثة أشياء : منتقل ، ومنتقل عنه ، ومنتقل اليه ، وهذا محال على الله تعالى لأنها من صفات الحوادث ولا تعرف الا بها .

وقال فى هذا الكتاب الذى يبالغون فى امتداحه فى صفحة ٢٣ : ان الله تعالى له حد ، ويجب أن نؤمن به ، والمكان أيضا حد وهو على عرشه ، فوق سمواته ، وساق كل الآيات التى ساقها ابن تيمية المتقدمة ورددنا عليه فيها . وقال فى صفحة ٢٤ : ومن لم يعترف بالحد فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله .

فانظر يا أخى الى هذا الكلام الذى ألفه صاحبه قبل أن يولد ابن تيمية ، ولما شب وترعرع بحث عنه وأخذ منه كما أخذ من غيره ، ولم يحد عن هذا المبدأ ولم يتحول عن هذا المخالف لاجماع المسلمين ، وتركه لسبيل خيار الأمة سلفا وخلفا ، ونبه أتباعه على الأخذ منه كما نبه على غيره من أمثاله ، فهذا هو الكتاب الذى يعطيك أقبح صورة لبـاطل عقائدهم فى الحق جل وعلا من اثبات الجوارح ، وأنه تعالى جسم ويرى بالأبصار كما قال بأن الله تعالى . يدرك فى الآخرة بالنظر اليه بالأعين وهى الحاسة الثانية ، وجزم بأن الله تعالى فى السماء جالسا . قال فى صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب : ان الذى على الجبل أقرب الى الله ممن هو على وجه الأرض . ومن على المنارة أقرب الى الله ممن هو فى أسفلها، وقد قال ذلك ابن تيمية فى رسالته المتقدمة ورددنا عليه قريبا فى هذا .

فانظر ياأخى الى حال هؤلاء الضالين المصورين لرب العالمين كأحد أفراد المخلوقين ، وردنا السابق هو أعظم كاف وشاف لهؤلاء المارقين البعيدين عن فهم كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين . هذا وقد

جئتك بشيء من كتاب الدارمى متبوع ابن تيمية لئلا تظن فينا ظن السوء، وأننا نرى المسلمين البرءاء بالمخالفة لاجماع المسلمين ، فها هو الكتاب السابق لابن تيمية الذى أخذ منه وعنه وقد امتدحه هو وصاحبه ابن قيم المعنون عنهما بأنهما امامان جليلان . وما أعطاهما هذه الألقاب ومن على شاكلتهم الا الأتباع الذين قد اغتروا وظنوا رسوخ قدمهم فى معرفة الله جل وعلا وهم لم يفرقوا بين البَهم والبُهم .

فيا أخا العقل لا تخف ولا تحزن فقد جعل الله تعالى بمقتضى حكمته العالية لكل فرعون من هؤلاء فى عصره موسى يقضى عليه ولكل نمرود منهم فى عصره ابراهيم يهلكه . ولكل ضال منهم محمد يمحوه كما وعد تبارك وتعالى (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) ثم اعرف الحق تعرف أهله ، ويا أخا النصيحة الحق يعرف من حيث هو على حدته لا بالرجال وخاصة المتقولين المموهين على البسطاء والضعفاء من البرءاء من المؤمنين وقد قررنا لك فيما تقدم قريبا عن الشيخ السبكى رحمه الله تعالى أنه قال فى كتابه (اتحاف الكائنات) صفحة ١٣٩ : ومنه يتبين بطلان ما زعمه ابن قيم من أن الفوقية فى الآيات والأحاديث محمولة على حقيقتها دون مجازها . اهـ منه . وقال فيه نقلا عن العراقى : ان معتقد الجهة لله تعالى كافر ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأبو الحسن الأشعرى والباقلانى .

وكفى ما قدمناه لك من البيان الواضح الصريح عن أحوال الضالين فى معرفة رب العالمين ، من كتبهم المكتوبة بخطهم المطبوعة الآن بين أيدى الناس ، التى يأخذ من سمومها كل ضال من الدعاة لهم وبتلك المبادىء الخاطئة يضللون العوام والبسطاء من المسلمين فأحذرهم

يا أخي وآحذر معرفتهم ، والا لو ترددت عليهم مرة بعد أخرى لأوقع الشيطان حبهم فى قلبك فلا تستطيع الخلاص منهم فتدخل تحت الوعيد الشديد فى مخالفى الاجماع ، وتكون من مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من نكتت نكتة فى قلبه من نكت الخوارج فلن تخرج منه الى يوم القيامة » وقد جعل الله تعالى الارشاد العام لعباده والنصح لهم فى مواجهة من نزلت الآية بخصوصهم فى قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) .

أيهما أضر على بنى الإنسان

أو فاذا هو — هى

غير خاف على ذوى العقل الرشيد والرأى السديد أن الله تعالى خلق الانسان ليعمل للخير ويرشد اليه وينصح له لا لعكس ذلك . ولكنا نجد من طغى وبغى فى هـذه الحياة الدنيا وخاصـة الآن من المنافقين المنحرفين عن الحق فمن يسمون أنفسهم بالمؤمنين وهم يعملون دائبين على المخالفة بالمعارضة للحق وأهله فهم يسعون لافساد نتائج ما خلقوا لأجله من معرفة الله تعالى التى يترتب عليها حسن الأعمال وفوز أهلها بالخير فى المال وان دعوتهم هذه تقضى عليهم والعياذ بالله تعالى بسوء المآل لانحرافهم عن الحق وأهله قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) فهذا هو الوعيد الشديد لكل مخالف لأوامر الله تعالى التى بينها لعباده سبحانه على أيدى رسله ودأب عليها المؤمنون ، وأما الكافر فانه يعمل مفكرا فى هلاك وتدمير ما صنعه الله تعالى وأمر بالمحافظة عليه بما يهدد

به سلامة الانسان فى هذه الحياة التى يرجو فيها الانسان طمأنينة البال وصلاح الحال الذى عليه مدار المجتمع الانسانى فيصنع من القنابل والمتفجرات والمهلكات التى تجعل الانسان دائما قلقا مفزعا قال تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله) فهؤلاء يعملون لافساد ما صنع الله تعالى لسعادة الدنيا ويسعون فى هدم بنيان الرب جل وعلا ، وأولئك يسعون فى هدم بنيان العقيدة التى عليها سعادة الآخرة .

فمثلهم كمثل الزنابير والعقارب ، قال سيبويه أحد أئمة النحاة ممثلا بهذين المضرين لبنى الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، اذ أحدهما يقضى بالعذاب والألم الشديد والآخر يفتك بحياته . فقيل له : هل لدغ الزنابير أشد أم العقرب ؟ فقال « فاذا هو هى » قال تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) فبعد أن أبان لهم سبحانه وتعالى الرشد من الغى فى كتابه العزيز الذى لم يفرط فيه من شىء فلا عذر للجهل مع وجود العلم قال تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

« قولهم ان الله يُرى فى الآخرة بالابصار »

قولتهم هذه يظن الجاهل أنها توافق قولة أهل الحق ولكن بين القولتين بون واسع ، اذ يعتقدون أن الله تعالى يُرى بالأبصار أى بحدقة العين وقد قلنا لك أن الضال فى معرفة الله تعالى ضال فى معرفة كل شىء لأنه كيف يُرى تعالى بحدقة العين وهو تعالى يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن

١

أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) وكيف يدركه البصر فقط ويتلذذ ويتمتع وجميع الجسم يحرم تلك اللذات ؟! ونسبة الرؤية له تعالى بالبصر انما هو للتقريب لعقول البشر كما هو صريح القرآن وبيان السنة ، وقد رآه جل وعلا الكثير من خواص عباده المؤمنين المسلمين الذين هم على قدم الأنبياء والمرسلين حتى أشتهر عنهم « رأيت ربى فانعكس بصرى فى بصيرتى » . اللهم الا أن يكونوا من الفرقة الأولى من المنافقين الذين يعتقدون أن لله صورة فيظهرها الحق سبحانه وتعالى لهم عند رؤيته جل وعلا فى الآخرة كما فى الحديث المروى عند البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم » الحديث فهم لاعتقادهم ان لله تعالى صورة يعتقدون فيها كل الجوارح وملحقاتها من الحركة والسكون فيظهر الله تعالى الصورة الأولى للمنافقين الذين كانوا يعتقدون هذه الصورة لله . تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، بعد انصراف كل الطوائف وراء معبوداتها ، وتبقى هذه الأمة المحمدية وفيها المنافقون الضالون الذين يعتقدون هذه العقيدة الزائفة

فى الله عز وجل فيسكتون ولا يتكلمون ، والحكمة فى اظهار الله تعالى لعباده هذه الصورة ليميز كل منافق ضال عن المؤمن حقا وسكوتهم دليل على رضاهم بهذه الصورة التى كانوا يعتقدونها فى الدنيا . وأما المؤمنون حقا فينكرونها ويقولون ليس هذا ما عرفنا به الأنبياء والمرسلون « فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه » فيتجلى الحق سبحانه وتعالى عليهم بما عرفوه عن الأنبياء والمرسلين بأن جميع الجسم يرى الحق عز وجل فتخر الأجسام جميعا ساجدة له تعالى خشية وخضوعا ، وهنا يحرم كل ضال من رؤيته تبارك وتعالى كما هو صريح هذا الحديث وغيره والآية الكريمة فى قوله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وفى قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) فالمؤمنون يعرفون الله تعالى بآثار صفاته وأسراره فى مكوناته وآياته باشراق أسمائه وينزهونه عن المشابهة والمشاكلة ويقولون (ليس كمثله شىء) فأين رؤيتهم للبارى جل وعلا فى الآخرة بالبصر فاذا كانوا ضالين فى معرفته تعالى فى هذه الحياة الدنيا — فهل يصدق واحد منهم فى شىء من معانى الآى القرآنية والأحاديث النبوية ؟ ويقصرون رؤية الله تعالى على الآخرة فقط ولا تكون الا بالبصر ، وينكرون البصيرة التى جاء بها القرآن وبيان السنة .

واعلم أن رؤية الله تعالى فى الدنيا ممكنة جائزة لعباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخواص المقربين ولو لم تكن

كذلك لما صح طلبها من موسى الكليم عليه السلام وعليه صار اجماع خيار الأمة الاسلامية بأسانيدهم الى الصحابة من المحدثين والمفسرين وغيرهم من أئمة الدين الحنيف ، ولا أذهب بك بعيدا فها هو العلامة المحدث بن حجر وجميع المفسرين للقرآن الكريم من الأئمة الموحدين والجلال السيوطى وغيرهم كالشوبرى والصفدى والمدابغى والشبراخيتى وجميع شراح السنة المطهرة ومن على قدمهم من أهل هذا العصر كالشيخ محمد بخيت المفتى والشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ يوسف الدجوى وغيرهم فى كتبهم ونحن بمعونته تعالى على قدم المؤمنين الموحدين ان شاء الله تعالى الى يوم الدين .

وهل أحد من هؤلاء المبعدين عن رحمة الله تعالى رأى الله عز وجل ببصره فى الدنيا حتى يقول هؤلاء فى كتبهم التى قدمنا انه يرى فى الآخرة بالأبصار ؟! اذا كان سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم من خصائصه أنه اذا وجه بصره الشريف فى شخص أمامه لا يستطيع الناظر لحضرته أن يبقى بصره شاخصا لعينيه بل ينعكس وهذا خلقه الله عز وجل على هذا الوضع أفهل يستطيع بصر العبد مجردا عن البصيرة أن يرى الحق جل وعلا ، على أنا قد قلنا ان حال الرائين لله تعالى فى الدنيا يختلف باختلاف مراتبهم عنده سبحانه وتعالى ، فمنهم من يرى الحق سبحانه وتعالى مقاما ويكون فى هذه الحالة مجردا عن العلائق والأغيار حتى عن نفسه فلا يرى الا الله تعالى ، ومنهم من يراه سبحانه وتعالى يقظة وقبلها يرى الرائى ذاته قد تغيرت عن حالتها وهيئتها وصيغ صيغة أخرى حتى بعدها يصلح لرؤيته جل وعلا وسماع كلام الحق سبحانه المجرد عن الحرف والصوت وفى هذه الحالة لا يرى فى الوجود الا الله تعالى ويسمع كلامه سبحانه مجردا عن جهة دون أخرى ، كما

قال من كان يناجي ربه على المئذنة : سمعت الحق عز وجل يقول « لبيك عبدى » وقد خرت المئذنة بمسجدها دكا ونزل هو على الهدم والردم فوجده كالعهن المنفوش فسأله العلماء من أى جهة سمعت النداء فقال سمعت الكون كله يقول « لبيك عبدى » وذلك من مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ما من عبد يقول يا رب الا قال الرب لبيك عبدى غير أنكم لا تسمعون » ، أفمن كانت رؤيته فى الدنيا تبارك وتعالى وسماع كلامه بهذه الصفة لا يرى الا بالأبصار فى الآخرة ؟! ولما كنا بصدد الرد على الضالين فى معرفة رب العالمين من المسلمين بالمسلمين وجب علينا أن نرد على باقى طوائف الكفر فى معرفة رب العالمين أيضا .

الحلول ومن يقول به

ومن أعجب ما ترى وأغرب ما تسمع أن هؤلاء الفرق الضالة الذين ينسبون أنفسهم للاسلام والمسلمين يقولون فى الله تعالى رب العالمين بالجهة ، فهم اخوان معتقدى الجهة لله . تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فهم كمن يقول من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين والكفرة وغيرهم بأن الله تعالى فى السماء ويحل بمعنى يلبس جسد عبده المقرب ، كعزير فى عقيدة اليهود ، والمسيح فى عقيدة النصارى ، والبهاء فى عقيدة البهائيين ، والأغاخان فى عقيدة الاسماعيليين ، وأحمد قاديان فى عقيدة القاديانية وغيرهم من باقى فرق الزيغ والضلال ، اذ الحق واحد وهؤلاء يتنازعونه على ما قدمنا وسنبين ، وفى بعض طوائفهم من يقول ان هؤلاء المقربين أبناء لله . تعالى عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى حاكيا لنا عنهم (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) فهم لجهلهم بمعرفة ربهم غفلوا عن أسراره فى خلقه ظنا منهم أن ما كان يأتى به الله تعالى على يد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الأمور الخارقة للعادة البشرية لم تكن منهم ، بل لم يجرها الله تعالى على أيديهم تكريما لهم وتشريفا وليعلموا أنه من عند الله حقا ومتصل بربه صدقا ، بل يحرفونه عن مواضعه ويقولون ما ذاك الا بحلول الله تعالى فيهم كما أن هؤلاء المخالفين من المسلمين ينكرون كرامات الأولياء ويجعلون اجراءها على أيديهم مستحيلا عليهم ، فهؤلاء وهؤلاء يجهلون أسرار ربهم فى مكوناته مع أنه سبحانه وتعالى أبان لهم فيما بين أيديهم أن مجاور الشيء يعطى حكمه فكأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يغتسلوا بساخن قط ، اذ بمجاورة الماء للنار أعطى الماء حكم النار وخاصة اذا زيدت عليه فان قلت هذا الماء فما المحرق فيه وان قلت هذه النار فأين الماء قال العارف بالله تعالى فى هذا المعنى :

نار المحبة أحرقت أحشائى ... ومدامعى تنهل كالأنواء
فأنا الحريق بأضلعى وأنا الغريـ ... ـق بأدمعى يامنقذ الغرقاء
فالنار والماء القراح تألفا ... هذا لعمرى أعجب الأشياء
ومن العجائب أن نار تحرقى ... تزداد وقدا عند فرط الماء

فهذا وأمثاله من بيان السنة المطهرة وفى الحديث القدسى المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد فيما يرويه صلى الله تعالى عليه وسلم عن رب العزة أنه قال « لا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها » الحديث وله روايات فهذا الحديث

وأمثاله يبين أن العبد اذا اتصل بالحق سبحانه وتعالى كانت له الصفات المميزات له عن جميع البشر باكرامه جل وعلا له بالفعل والانفعال ، وما أجمل قول العارف بالله تعالى سيدى محيى الدين بن العربى الذى يكرهه المخالفون لاجماع المسلمين وينسبون اليه الكفر حيث قال :

العبد رب والرب عبد   فليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك رب   أو قلت رب فلا يتكلف

فكلام هذا العارف بالله تعالى يحتمل أنه من قبيل اللغز وهو جائز شرعا كما هو مروى فى السنة من حديث النخلة وعليه فلا عيب فى الألغاز وهو مشتهر عن أفاضل الأمة ، وعليه يكون المعنى ، العبد لله رب لمنزله ورب المنزل عبد لله ، ويحتمل أن الانسان اذا اتصل بالله تعالى وأحبه الله أجرى تعالى عليه يديه خرق العادة ، كالخضر فى قصة موسى عليه السلام، اذا نظرت للأثر فى الخارج وما فعله الخضر فلا يفعل هذا الا الله تعالى واذا نظرت الى من أجرى الله تعالى على يديه فهو العبد لله تعالى فان قلت هذا الفاعل هو الله تعالى قلت هذا الفاعل ظاهرا العبد فهو من مصداق الحديث القدسى السابق ، فهم لجهلهم بمعرفة ربهم جهلوا أسراره فى خلقه ، على أن الله تبارك وتعالى بين لنا فى كتابه العزيز من كرامات الأولياء التى أجراها سبحانه على أيديهم فى سورة البقرة ، وفى سورة الكهف التى بها ثمانى آيات أجراها تعالى على أيدى أوليائه ، ولذا يكرهون قراءتها يوم الجمعة نابذين ما ورد فى فضل قراءتها يوم الجمعة ، أو هم يجهلونه ولم يصلوا الى معرفته فى السنة ، وهى أكبر حجة عليهم بالمخالفة لاجماع المسلمين ، ومن كرامات الأولياء فى القرآن فى سورة (والسماء ذات البروج) والسنة المطهرة ملأى بذلك ، ولا تنس أن من أنكر كرامات الأولياء أنكر معجزات الأنبياء ، لأن مفيض الأمر

على الاثنين هو الفاعل المختار كما ستعرفه ان شاء الله تعالى فى باب الأوليــاء .

طوائف الإنكار لوجود الله تعالى

ومما تمجه الأنفس الزكية وتستقذره الأذواق السليمة وجود طوائف من بنى آدم ممن ينكرون وجود الحق عز وجل وفاعليته فى مكوناته كالدهريين والطبيعيين ومن على قدمهم من الذين ظهر أمرهم الآن بدعوة الوجودية ، وهؤلاء على قدم من وصفهم الحق عز وجل فى أسفل درجات الآدميين والمنحطين الى أسفل درجات البهائم قال تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بهــا ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) .

أما الدهريون فهم ينسبون الأفعال الدنيوية الى الدهر ، وهو كر الليالى ومر العشى ويقولون هو الذى يهلكنا وهو الذى يحيينا ويميتنا فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) قال العلامة القرطبى كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر قال الله تعــالى فى الحديث القدسى المروى عند البخارى ومسلم عن أبى هريرة « يؤذينى ابن آدم ويسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » . وكان المشركون أصنافا ، منهم هؤلاء ، ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ، ومنهــم من كان يشك فى البعث ولا يقطع بانكاره . وحدث فى الاسلام أقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين،

فيتأولون ويرون القيامة موت البدن ، ويرون الثواب والعقاب ، خيالات تقع للأرواح بزعمهم ، فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار ، لأن هؤلاء يلبسون على الحق ، ويغترون بتلبيسهم الظاهر كل ساذج . والمشرك المجاهر بشركة يحذره المسلم . وقيل : نموت وتحيا آثارنا ، فهذه حياة الذكر . وقيل : أشاروا الى التناسخ ، أى يموت الرجل فتجعل روحه فى حيوان فتحيا به ا هـ قرطبى .

وأما الطبيعيون فيقولون ما أوجدنا والعالم الا الطبيعة ، وهى العناصر الأربعة ، وهى النار ، والتراب ، والهواء ، والماء . قال : العماد ابن كثير فى تفسيره للقرآن يقولون ما هناك الا هذه الدار الدنيا ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وما هناك معاد ولا قيامة وهذا هو ما كان يقوله مشركوا العرب المنكرون المعاد ، وكانت تقوله الفلاسفة الالهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة ، وتقوله أيضا الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء الى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا الا الدهر) فكذبهم الله تعالى بقوله (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) أى يتوهمون ويتخيلون أ هـ ابن كثير .

ولهم فى تخيلاتهم أمور تضحك أبليس فيشجعهم على هذا الضلال ، من قول بعضهم : ان الواجب واحد ولم ينشأ عنه الا واحد فأوجد الفلك الفياض وهو الفلك العاشر فأثر فى الفلك التاسع والتاسع أثر فى الثامن وهو أثر فى السابع وهو أثر فى السادس وهكذا الى سماء الدنيا وهو أثر بالعناصر الأربعة التى منها كل موجود . قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وما أقل عقولهم وأنجس قلوبهم وأخبث عقائدهم فلو كانت لهم عقول

يميزون بها كما فكروا فى هذه الضلالات لخرجوا عن هذه التوهمات الفاسدة والعقائد الزائفة فمن أوجد الدهر للدهريين ؟! وأوجد الطبيعة للطبيعيين ؟! ومن أوجد الوجود للوجوديين ؟! أليس مرجع ذلك كله الى اله قادر ومنشىء صانع ومبدع قاهر وهل هناك غير الله سبحانه وتعالى :

وأما الوجودية فهم طائفة كأسلافهم الدهريين والطبيعيين ينكرون وجود الاله وينكرون البعث وهذه الفكرة جاء بها الى مصر أعمى البصر والبصيرة بكتب من مؤلفات المجانين الذين يقولون بها انى احدى جامعات مصر وقد اعتنقها وقال بها كل ضال زائغ عن الحق وفيه استعداد قبول الشر لا غير من العجماوات الذين يقادون فينقادون ولا يفكرون فى شيء الا فى التمتع بملذات هذه الحياة كالبهائم من المادة التى يعيشون بها ولم يفكروا فى شيء مما هو وراء المادة ولو فى نفسه التى بين جنبيه وروحه التى بها يحيا ويعيش وعقله الذى به يفهم ويفكر ، فالحق أن هؤلاء الوجوديين لا يعقلون فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وما هم الا كأسلافهم الضالين المتخيلين (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) . ولقد قام أفاضل علماء الأزهر وجهابذته بالرد عليهم حين بدأ السفهاء يتكلمون بها فأفعموهم وأفحموهم ، فهم لضيق صدرهم ووقوع الحرج فيه لا يهتدون قال تعالى فى الرد عليهم وعلى كل الطوائف الزائغة عن الحق (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) .

« الله تعالى موجود ومطلع على عباده »

من المقرر عقلا ونقلا أن لا يوجد شيء من لا شيء وهذا الوجود

العظيم موجود فلابد له من موجد أعظم ضرورة وجود المشاهدة والمعاينة وعدم نفاذ أى اختيار للعبد لنفسه بنفسه فالقهر والغلبة دليل على وجود الغالب القاهر وقد قامت البراهين عقلية ونقلية على وجود الصانع المبدع جل وعلا كما سيأتى فى الباب الذى عقدناه لمعرفته تبارك وتعالى عن الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من المؤمنين الى يوم الدين ، وحيث كان تبارك وتعالى موجودا وخالقا فهو مطلع على موجوداته ما دق منهم وصغر وما عظم منهم وكبر ينمى ويربى لهم ذرات أجسامهم تسبحه تعالى رغم أنوفهم لافتقارها اليه جل وعلا . وأجمع على ذلك أفاضل الأمة سلفا وخلفا . وهم يجزمون بها بعد معرفتهم له جل وعلا بأنه تبارك وتعالى مطلع على عباده راء لهم تعالى رؤية انكشاف واحاطة وشمول اجمالا وتفصيلا ومعنى اجمالا أى لكل فرد من الموجودات بهيئته وما تركب منها من الأجسام التى ترى لنا أنها كتلة واحدة متماسكة بقدرة من يقول للشيء كن فيكون ، وتفصيلا وهى جزئياتها وهى ما تركبت منه الاجماليات ، فهى مرئية له تبارك وتعالى كما قال (لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) وكما قال تعالى (بيده ملكوت كل شيء) والذرة أيا كانت صغيرة أو كبيرة شيء كما فى قوله تعالى (ألا انه بكل شيء محيط) ومع هذا كله فهى آنية عند ربك بمعنى أنها كالشيء الواحد له تعالى قال تعالى (ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) أى لا يعجزه شيء عن ادراك كل شيء واحاطته به وتربيته اياه وبلوغه كماله كما شاء فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، وهو الموجود فى كل الوجود ، وانما جعل سبحانه الحجاب علينا رأفة ورحمة بنا ، والا لما كان للدنيا وجود على هذه الحال ، لانصرف العباد الى جمال الله وجلاله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام .

كذب وتضليل

قولهم انا سلفيون كذب وتضليل يدعون أنهم يعملون بعمل السلف الصالح فى الأقوال والأفعال وهذا هو الكذب بعينه والتضليل بنفسه على عباد الله البرآء السذج . لأنهم لا سلف لهم الا فى المخالفين المعارضين للحق وأهله من المنافقين ، والخوارج ، والقدرية ، والحرورية، وغيرهم من طوائف الالحاد الذين كانوا لا يستطيعون أن يرفعوا بذلك رأسا ، لقوة الحق وأهله الى أن جاء الزمن بعد سبعمائة سنة وصدع بهذه السلفية الرجل الذى قوبل بها وفيها من كل ذلة واهانة واحتقار من أهل الحق الى أن قضى نحبه فى السجن وظهر فى أتباعه من فيه استعداد القبول لهذا الشر وصار يدأب عليه تواليا الى الآن ، ويقولون انا سلفيون ليسمع منهم البرىء الخالى الذهن فيعتقد أنهم على سلف الأمة الناجية الذين هم تبعوا الصحابة ومن تبعهم باحسان الى وقتنا هذا . وهو سلف أهل الحق من عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الى الأربعماية أو الخمسماية سنة على تعريفهم رضى الله تعالى عنهم وخلفهم من هذا العهد الى ما بقيت الدنيا فى التابعين لهم باحسان — فهذا هو سلف الأمة الناجية عند ربها تبارك وتعالى ان شاء عز وجل — وهى التى على عقيدة واحدة ودين واحد ومبدأ واحد ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقل أحد منهم فى المتشابه بالتشكيك بل الكل على الحق ويجزمون به — فالسلف يقولون فى المتشابه بتفويض علمه الى الله عز وجل على ما هو عليه بدون تأول فى معناه — والخلف يقولون مع جزمهم بعقيدة السلف تأولا لائقا به خاليا من النقض ، وها هو فى صدر السلف الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه التابعى بالاجماع المأثورة عنه القولة المشهورة الصحيحة المجمع عليها من سلف الأمة

وخلفها وهى « اذا كان اللفظ يحتمل معنيين أحدهما يوجب محذورا وجب العدول عنه الى ما ليس بمحذور » وخاصة اذا ما وضع فى جانب الحق عز وجل . ها هم سلف الأمة الناجية وخلفها .

وأما هم فيقولون بقولة أسلافهم الضالين بالتشكيك وخاصـــة فى الألفاظ الموضوعة بجانب الحق سبحانه وتعالى ، يقولون ان له سبحانه وتعالى عينا ويدا ورجلا كما قال تعالى ، ولكن لا نعلمها . فهذا على رأى العلامة القرطبى فى تفسيره يقولون بالنفى والاثبات للتشكيك فى الصفة الواحدة له . تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ومما يدهش توغلهم فى التضليل لعباد الله البرآء بقولهم لهم انهم أهل السنة العاملون بها والقائمون عليها والمناصرون لها والداعون الى العمل بها وعليها ، فما يسمع مسكين منخدع الا يكون طوع ارادتهم منضما اليهم متلقنا مبادئهم الخبيثة عاملا بها ظنا من هذا المسكين أن هذا هو الدين الصحيح — وخاصة اذا كان مأجورا على ذلك لتلك المبادىء الخاطئة كأسلافه السابقين له فى الدعوة — ومما لا يخفى أن من أهم اعتناقها وضمه اليهم وجود الاستعداد فيه لقبول تلك المبادىء وبها يكون عنده الأمر سواء وبها يكون قد خرج عن دائرة الذين يحبون الله ورسوله وآل بيته الطيبين المباركين الطاهرين ، الذين يعملون بامتثال لقول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى) فهم حزب الله ورســـوله .

وأغرب منه قولهم فى المخالف لاجماع المسلمين هـــذا هو الدين الصحيح والحق الذى يجب العمل به وهو الذى كان يعمله صلى الله تعالى عليه وسلم وما عداه بدعة وضلالة وهو الذى لم يكن فى عهد

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين ولا غيرهم ، فهذه هى التمويهات والتضليلات على البسطاء والبرآء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فيوقعونهم فى دهشة وحيرة حتى يصبح الواحد منهم يقول كيف نصنع هذا الشيخ يقول كذا ؟ وهذا الشيخ يقول كذا ؟ فلا ندرى أى الفريقين أحق ؟

وخاصة اذا سأل هذا المسكين الحيران عالما ليس له القدم الراسخة فى العلم ، أو ممن هو فيه هذا الاستعداد للشر فيزيده ويزداد به ضلالا على ضلاله ، واذا حاولت مع أحدهم أن تلفت نظره للحق والصواب فلن تستطيع . لأنه أشرب حب هذا الخلاف فى قلبه وخالطت جميع مداركه فلن ينظر غيرها ولا يتكلم الا بها — أو لم ينظر هذا الضال ! الى ما عليه اجماع المسلمين القرون العديدة الطويلة ، وشذ هذا المفارق للجماعة بأمور مخالفة لما عليه اجماع المسلمين فى الزمن القريب العهد منه ويميز بين أهل الحق والباطل ويعتبر أن هذا الحكم الشرعى لم يجر العمل به وصار الاجماع عليه الا لأن له أصلا فى الدين لأن السواد الأعظم طوال هذه القرون العديدة لا يستمر أمرهم على العمل بالمخالف، وهم أقل واحد فيهم هو أفضل وأقرب الى الله تعالى من شيخه الذى شذ وفذ بهذه المخالفة .

ومن العجب العجاب أن شأن هؤلاء المخالفين أنهم يقرأون القرآن ولا يفقهون له معنى أو لم يمر عليهم قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولم يعلق اصلاءه جهنم على المخالفة الا لأن اتباعهم أمر واجب على ما قرره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه . وأيضا قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقد أجمع أفاضل الأمة على أن شهاداتهم على الناس ثابتة بالكتاب والسنة احقاق الحق لأهله والباطل لأهله فى الدنيا والآخرة وهو الاجماع بعينه لأن نسبة أحدهم لوالديه لم تثبت لهم الا بشهادة الناس وهذا هو الاجماع ، وكونهم شهداء فى الدنيا بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند البخارى فى باب الجنازة « وقد مر عليه صلى الله عليه وسلم بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت قال قائل ما وجبت يا رسول الله . قال أما الأولى فأثنيتم عليها خيرا فوجبت لها الجنة وأما الثانية فأثنيتم عليها شرا فوجبت لها النار أنتم شهداء الله فى الأرض » هذا فى الدنيا — وأما الآخرة فحديث الشفاعة المروى عند البخارى أيضا قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم « يؤتى بنوح وقومه وكل نبى فيقال هل بلغت » الحديث (من يهد الله فهو المهتدى) ومما تمجه الأنفس وتنفر منه الطباع السليمة قولهم فى المخالف لرأيهم أنه بدعة وضلالة ويزينون زخرف قولهم ويموهون به أن هذا هو الدين الصحيح الذى يجب العمل به كاستجداثهم فى الأذان بالألفاظ المقتضبة المقطومة المخالفة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قولهم هذا هو أذان بلال بعينه !! هل رآى أحد منهم أو سمع بلالا وهو يؤذن ؟ لا دليل لهم طبعا عليه الا وحى الشياطين اذ لا يوحون الا بالمخالف ، على أنه لا يعقل أن الأذان وهو حكم شرعى تكون فيه المخالفة بهذا الحد النائى عن الحق والحقيقة لأنه حكم شرعى متواتر ثابت بالكتاب والسنة بألفاظه وهيآته ونغماته وترنيماته وأنه نداء بتعليم الله تعالى لعباده وبيان سيد العالمين لهم بأنه لا حد له فى النداء ومن أجمل الأدلة فى الترنيم به والتنغيم فيه اختيار حضرته صلى الله تعالى

عليه وسلم مؤذنيه الأربع من بين جمهور الصحابة أجمع ذوى الأصوات الحسنة وما ذاك الا للتغنى وحسن النغم والترنيم وخاصة أن ذا الصوت الحسن يحب أن يظهر نعمة الله عليه بكل مافى وسعه من ترنيم وتنغيم وقد بينا ذلك بيانا واضحا مجملا ومفصلا فى باب الأذان بأوسع تبيان

ولكنهم لانحرافهم عن الحق لم يهتدوا الى ذلك سبيلا ولم يظهر أمامهم ويلوح لهم الا كل مخالف فهم لا ينطقون الا به ويعارضون به الحق وأهله ويضللون البرآء السذج بقولهم هذا هو الدين الصحيح السليم وما كان عليه سيد العالمين والصحابة والتابعون وما عداه بدعة وضلالة ، كدعواهم فى كل ما خالفوا فيه اجماع المسلمين من اتخاذهم المنبر على ثلاث درجات لاغير ، وعدم المئذنة وعدم تجويف القبلة فى الحائط فى المسجد وكل ذلك قد فعله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكذا عدم الأذان الأول يوم الجمعة وقراءة سورة الكهف فيها ولهم من المخالفة ما بيناه وسيأتى الرد عليه . وأنت ترى مساجدهم التى أحدثوها مخالفة لما عليه اجماع المسلمين كمسجد الضرار — لأنهم لم يفطنوا الى الأوضاع الالهية فى القرآن الكريم من أنه ما فى حادثة تحدث فى مستقبل الزمان الا ويجعل الله سبحانه وتعالى لها أصلا يجريه بين يدى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وينزل فى شأنها قرآنا يتلى فان لم تكن مساجدهم من مصداق قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) الآيات فأى المساجد ينطبق عليها هذا القول الكريم ؟ فأنت تعرف أنه منذ أن نزلت هـــذه الآيات لم يظهر على وجه الأرض مساجد مخالفة لمساجد المسلمين غير هذه المساجد فان لم يكن أمرهم هذا من مصداق الآية

الكريمة فمن غيرهم أو لم ينظروا أن علماء المسلمين مجمعون على هذا التواتر فى المساجد بهذا الوضع ؟

وقد قررنا فى غير ما موضع أن كل مخالف لاجماع المسلمين فى مسألة واحدة فلا تراه الا ضالا فى الجميع لايهتدى الى الصواب أبدا قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا).

ومن أكبر ماتعرف به من فيهم يسمونهم بالعلماء وليسوا كذلك قولهم : ان الخلاف بين العلماء دائم مستمر قديما وحديثا ، وذلك لجهله بعلماء الحق وعلماء الباطل ظنا منه أن كل من اشتهر ولو بالمخالف لأهل الحق فهو عالم يخالف العلماء بدون أن يميز بين أهل الحق والضلال اذ الحق واحد لاخلاف فيه بين أهله والضلال واحد بين أهله ولكن لشهرة القائل بالمخالف وما قال به الا ليعرف وما عرف بين الناس الا به ، وذلك لسنة الحق تبارك وتعالى فى عبادة ليميز كلا منهما بأقواله وأفعاله، ولا يعرف ذلك الا العالم المحقق الذى هو فى جانب أهل الحق فيرى أن أقوال وأفعال الضال قد جانب فيها الحق وأهله كل المجانبة وباعد عن الصواب كل البعد والجاهل بالعلم والعلماء فيراه لظهوره وبروزه ولو بالمخالف أنه من العلماء فيظن جهلا منه بكل ذلك أن هذا عالم ويخالف العلماء فيقول الخلاف مستمر بين العلماء على الدوام ، وكم رددنا على الكثير منهم وفهمناهم أن العلم على مقتضى بيان الحق سبحانه وتعالى لعباده ينقسم الى قسمين حق ، وضلالة قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) فأهل الحق هم أهل الاهتداء قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وأهل الضلال قال تعالى (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

وقد قررنا أن الحق أبدا واحد اذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى

واحدة منهما ، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل الا ويتقاسمان الصدق والكذب فيكون الحق فى احداهما دون الأخرى ، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان واذا كان الحق فى كل مسألة عقلية واحدا فالحق فى جميع المسائل يجب أن يكون مع واحدا ، وانما عرفنا ذلك بطريق السمع وهو ما أخبر به التنزيل الكريم فى قوله عز وجل (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) والسنة المطهرة من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال أهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « لا تجتمع أمتى على الضلالة » .

على أن رأى جميع العقلاء من الأمة الاسلامية أن كل خلاف خارج عن اجماع عقلائها وهم علماؤها لا ينظرون اليه ولا يعولون عليه ولا يلتفتون اليه ولا الى قائله حتى اشتهر عنهم قولهم .

وليس كل خلاف جاء معتبرا   الا خلاف له حظ من النظر

ومن تضليلاتهم قولهم أن الأئمة الأربعة رضى الله تعالى عنهم هم مختلفون ، وذلك من جهلهم بأمور دينهم وتشريع الله تعالى لعباده على لسان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحكم الواحد عدة أمور وذلك للتخفيف والتيسير على عباده جل وعلا وقد يسر سبحانه وتعالى لكل واحد منهم طريقا لبيان حكم من أحكام البيان والتبين الشريف وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية وقد قررنا ذلك مرارا فى هذا الكتاب .

الفصل الرابع

فى الإجمال والتفصيل

لما كان شأن العلماء أن يبينوا للناس ما أمر الله تعالى ببيانه اجمالا وتفصيلا كان لزاما علينا أن نبين شيئا من ذلك لعلنا نندرج فى سلك السالكين ورغبة الراغبين وطمع الطامعين فى رحمة ورضوان رب العالمين ليستنير بذلك ذهن الراغبين ويدرج به فى معرفة أسرار رب العالمين .

فنقول غير خاف على ذوى العقول الراجحة والبصائر المتيقنة أنه ما عرف الاجمال الا من التفصيل ، أو ما عرف التفصيل الا من الاجمال وهو خاص ببنى آدم الذين فضلهم الله تعالى على جميع مخلوقاته وما كان مخلوق فى الوجود الالأجلهم وقد جعلهم سبحانه وتعالى محل نظره من خلقه وجعل تفضيلهم بالعقل والتمييز والادراك وذلك بما خصهم تبارك وتعالى بالمزايا التى لم يخصص بها غيرهم من المخلوقات وكان من تكوينهم الاستنارة بالعلم والمعرفة والاستعداد التام الخاص لذلك ، ولذا تراهم نزاعين دائما الى حب الاستطلاع وخاصة فيما غاب عنهم .

وجعل تبارك وتعالى الغرض من وجودهم معرفته جل وعلا ، وهو أول واجب أوجبه عليهم ، وجعل معرفته تبارك وتعالى لهم متنوعة ، اما بالفطرة التى فطرهم عليها (فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله . واما بالدلائل التى خلقها تعالى لهم وبما فيها من جميع مستلزماتهم دنيا ودينا وأخرى ومن مهامها أنه تعالى نصبها دلائل على معرفته وذاك اما بالبراهين العقلية واما بالبراهين النقلية (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وجعل سبحانه وتعالى فى تكوينهم الاستعداد

لقبول ذلك فمنهم من يلهم الرشد لذلك الاستعداد ومنهم من يستنير بغيره من الموفقين ومنهم من لا يقبل ذلك الا بالبيان وضرب الأمثال حتى يوقن ، ومنهم من لا يقبل لذلك صرفا ولا عدلا (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ثم لم يتركهم هملا على ذلك بل أرسل لهم رسلا يرشدونهم الى معرفته سبحانه وتعالى بكافة الطرق الموصلة الى معرفته عز وجل ، وبهذا كانت الحجة منه تعالى عليهم لزاما (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وذلك بعد أن جعل تركيبهم فى التكوين مشتملا على كل مستلزماتهم من حيث العلم والمعرفة والادراك والاحساس والتمييز فى كل ما أوجد لهم (ومن كل شيء خلقنا زوجين) فكان من مهام معرفة الزوجين ، المتقابلان والمتماثلان ومنه عرفوا أن كل ما فى الوجود على المقابلة والمماثلة ، اذ بالمقابلة يحصل التضاد والتنافر ، وبالمماثلة يحصل التناسب والائتلاف ، فمن المقابلة فوق وتحت ويمين وشمال وخلف وأمام والليل والنهار والنوم واليقظة وما شاكل ذلك والمماثلة فى كل فردين بينهما مناسبة كالروح والنور وما فى كل متماثلين فى الخير أو الشر أو الشقاوة أو السعادة أو العز أو الذل أو الغنى أو الفقر .

ولما كان الانسان هو أكمل مبدع للحق سبحانه وتعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) وجعل تكوينه مشتملا على كل المبدعات له تبارك وتعالى داخلة فيه فتظهر منه عند ارادة اللازم وهو المراد فى معنى المخلوق الاجمالى ، الذى أجمل تعالى فيه من كل مبدع له تبارك وتعالى ولفت نظر عباده العارفين منهم الى ذلك بقوله عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فسبحان المبدع القادر المصور ، اذ جعل فيه النبات ، والجماد ، والحيوان ، والعالم العلوى والسفلى .

ومن هنا صح قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه الذى قال فيه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « أنا دار الحكمة وعلى بابها » رواه الترمذى عن على ولذا كان قوله قول الحكمة رضى الله تعالى عنه قال :

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولهذا كان الانسان مراد الحق عز وجل من هذا الخلق وبمقتضى حكمته العالية جعل تكوينه فى الادراك متنوعا ، منه ما هو عارف بالفطرة ومنه من يحتاج الى ارشاد وتبيين ومنه من يقبل ذلك ومنه من لا يقبل ولذا كانت دعوة الرسل لمن لا يقبل كالاشهاد عليهم ، ولما كانوا كذلك كانوا هم أحق وأجدر بما ألزمهم به فيما أوجبه عليهم من معرفته جل وعلا المرادة له تبارك وتعالى فى قوله عز من قائل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وفى الحديث القدسى الذى قد رفعه العلماء من أشجار شتى « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » . وكانت تلك المعرفة له تبارك وتعالى ، اما بطريق ما وصف به نفسه عز وجل من الرفعة والعلو عن جميع مكوناته والمراد بها رفعة المكانة ، لا رفعة المكان قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (والله من ورائهم محيط) وقال تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شىء محيط) وقال تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) وقال تعالى (ان الله على كل شىء قدير) وهكذا من الآيات المجملة فى الكتاب العزيز .

وأما التفصيل ففيه مادل على علوه تعالى ورفعته فوق خلقه بالمكانة لا بالمكان كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى

(يخافون ربهم من فوقهم) وقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب) وقوله تعالى (ورافعك الى) وكقوله تعالى (ءأمنتم من فى السماء) وهكذا من الآيات التى تدل على علوه وعظمته وكبريائه تبارك وتعالى بما يفهم منها ذلك ذوو العقول الراجحة والقلوب النيرة ، والسنة المطهرة جاءت بمثل هذه الآيات .

ومنها مايدل على مايقابل الفوقية وهى التحتية التى وضعت ليفهم منها ابن آدم أنها تقابل فوق فى المقابلة التى قدمنا كقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فسر صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية الكريمة بقوله الشريف (الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء والباطن الذى ليس تحته شىء) وقد استدل صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الآية فى الحديث المروى عند الترمذى الذى يرويه كل مفسر للقرآن لمناسبة قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) فى آخر سورة الطلاق وليس فى القرآن غيرها فى بيان الأرضيين ، فبين صلى الله تعالى عليه وسلم السموات السبع وما بين كل سماء وسماء وسمك كل سماء فى هذا الحديث ، وكذا الأرضون : سمك كل أرض كسمك كل سماء وبعد مابين كل أرض وأرض كبعد مابين كل سماء وسماء « خمسمائة عام » ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجدتم الله عز وجل » ثم قرأ هذه الآية (هو الأول والآخر) الى آخرها مستدلا بها على صدق قوله الشريف ، وفى الحديث الشريف المروى عند البخارى ومسلم وغيرهما « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

ومن التفصيل مايستدل به على المعية كقوله تعالى (يستخفون من

الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) وكقوله تعالى (مايكون من نحوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ماكانوا) وكقوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقد سئل صلى الله تعالى عليه وسلم : « هل الله بعيد فنناديه أم قريب فنناجيه فأنزل الله تعالى قوله (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) وفى الحديث المروى عند البخارى ومسلم وغيرهما « ما من عبد يقول يارب الا قال الرب له لبيك عبدى غير انكم لا تسمعون » .

ومن التفصيل العام الشامل فى جميع أمهات المكونات له جل وعلا من عالم الملك والملكوت كقوله تعالى (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم) وكقوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون) هذه الآيات التى أجمل الحق عز وجل فيها بيان معرفته تبارك وتعالى ثم فصلها تفصيلا على شرط ما فهمه عقلاء الأمة الاسلامية وبينوه لعباد الله تعالى لمن لم يرق الى حد معرفة ذلك فقالوا انه تبارك وتعالى لايعتقد أنه متصل بها أو منفصل عنها ، لأن الاتصال والانفصال من صفات الحوادث المخلوقين له تبارك وتعالى ، وقد قال الأفاضل فى معرفته جل وعلا ، كل ماخطر ببالك مالله بخلاف ذلك ، والبحث عن آثار الصفات ادراك ، والبحث عن حقيقة الذات اشراك ، وهو تبارك وتعالى منزه عن كل ذلك تعالى علوا كبيرا .

وما أجمل قول المتحقق فى معرفته تعالى فى كل ماوصف تعالى به نفسه فى معنى الاجمال : ان سألت عن أسمائه فقد قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وان سألت عن صفاته فقد قال تعالى (قل هو الله أحد)

الى آخر السورة وان سألت عن أقواله فقد قال تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وان سألت عن أفعاله فقد قال تعالى (كل يوم هو فى شأن) وان سألت عن نعته فقد قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وان سألت عن ذاته فقد قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

ومن معانى بيان التفصيل بعد الاجمال فى توحيده تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى لا مستعين عن كل ما سواه ومفتقر اليه جميع ماعداه الا الله ، ومن آى التفصيل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وقوله تعالى (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) .

ومن آى اجمال الأسماء الاسم المفرد وهو على رأى البعض من الأجلة الاسم الأعظم (الله) وهو علم على الذات الأقدس الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد جل شأنه وتعالت عظمته سبحانه لانحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه سبحانه وتعالى عما يشركون .

وهو بالاجماع الاسم الجامع الذى هو مرجع جميع أسماء الذات والصفات والأفعال اليه فما من اسم منها له تعالى الا ويرجع معناه الى اللفظ الشريف (الله) وهو المنفرد أيضا بالتمييز عن جميع أسمائه جل وعلا بمعنى أنه اذا ذكر منه حرف واحد دل على الله تعالى سواء كان كحرف الألف (ا) فهى تدل على وحدانيته تبارك وتعالى وتشير الى أنه واحد لا ثانى له وكانت من أكبر الدلالات فى النطق بها لمن جعلهم الله تعالى ينطقون من الأطفال بالفطرة كما أخبر تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) فأول نطق للطفل يقول (آ) وبعدها يقول (آب) أو (آم) وكذا ينطق بها المتألم من غير ادراك لمعناها وهو لفظ (آ)

وكذا ينطق بها المشجى واذاأشبعها نطق بآخرها (آه) وهو دلالة على الله تعالى ، واذا نطق بالهاء مجردة (هـ) يدل على أنه هو الله الذى لا اله الا هو واذا نطق منه بحرفين حرف من وسطه وحرف من آخره (له) ما فى السموات وما فى الأرض ، أو ثلاثة أحرف منــه حرف من أوله وحرف من وسطه وحرف من آخره دل على لفظ (اله) . قال المحققون (الله) . أصله اله . فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ، ولذلك قيل يا الله بالقطع الا أنه يختص بالمعبود بالحق والاله فى الأصل يقع على كل معبود ثم غـلب على المعبود بحق . واشتقاقه من ألة الآهة وألوهة وألوهية بمعنى عـبد ، ومنه تأله واستأله ، وقيل من أله اذا تحير لأن العقول تتحير فى معرفته ، أو من ألهـتـ الى فلان أى سكنت اليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن لمعرفته ، أو من أله اذا فزع من أمر نزل به ، وألهه غيره أجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يـجيره حقيقة أو بزعمه ، أو من أله الفصيل اذا ولع بأمه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه فى الشدائد ، أو من وله اذا تحير وتخبط عقله ، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه ، وقيل أصله لاه مصدر لاة يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محتجب عن ادراك الأبصار ومرتفع عن كل شىء مما لا يليق به وقيل علم لذاته المخصوصة اهـ بيضاوى .

فقد عرفت أنه هو الاسم الذى امتاز عن جميع أسمائه تعالى بهذه المزايا فضلا عن أن جميع أسماء الذات والصفات والأفعال وما فيها من أسماء الجلال والجمال مرجعها الى هذا الاسم الشريف ، فكأنه هو الاسم الذى أجمل الله تعالى فيه جميع الأسماء ثم فصلها فى القرآن المجيد بعد تفصيلها فى جميع الكتب السماوية السابقة لاقرآن اذ ورد

ان لله عز وجل ألف اسم فصل منها فى التوراة ثلثمائة والزبور ثلثمائة والقرآن الكريم مائة ، أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يعلم أمته التسعة والتسعين اسما ثم أمره أن يعلم الاسم المكمل للمائة الخاصة من أمته كما أخبرنى شيخى رضى الله تعالى عنه عن شيخه — وهذا هو المنصوص عن الأشياخ ، ولكن كبرت وتعلمت وعرفت أن الأسماء لله عز وجل لا تتناهى كما أن ذاته سبحانه وتعالى لاتتناهى وكذا الصفات والأفعال كذلك .

وأنت تعرف أن جميع الأسماء التى وردت فى غير القرآن مرجعها الى ما فى القرآن وجميع ما فى القرآن مرجعه الى الاسم الشريف الجامع هكذا تكون الحكمة فى الاجمال والتفصيل للأسماء والله المعطى .

ومن الاجمال والتفصيل فى القرآن على ما ورد من أن جميع ما فى الكتب السماوية مع كثرتها أجملت فى القرآن الكريم ثم فصلت من لدن حكيم عليم وسيأتى بيان وتوضيح ذلك بأوسع مما هنا ان شاء الله تعالى اذ لا يخفى عليك أن جميع ما فى الكتب السماوية مرجعه الى بيان ثلاثة أشياء توحيد الحق عز وجل ثم بيان أحكام المعاملة للناس مع الله تعالى ومع بعضهم لبعض ثم القصص وهو عظة الحاضرين بأحوال الماضين وهذا ما اشتمل عليه القرآن الكريم بصريح الحديث الشريف المروى فى بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم (سورة الاخلاص تعادل ثلث القرآن) الحديث ولما كانت سورة الفاتحة تعادل القرآن فقد أجمل تبارك وتعالى جميع ما فى القرآن فيها ولما كان الغرض من القصص حمل الناس على التأسى بأحوال الصالحين المهتدين وكان من أهم أعمالهم معرفتهم لرب العالمين ، وكان بيان أحكام المعاملة لله والناس السير على أحسنها وفى ذلك كبير معرفتهم لرب العالمين أيضا فكان مرجع الاثنين المعاملة والقصص

الى الأول وهو معرفته وتوحيده تبارك وتعالى وكان اجمال ذلك فى قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وكان مرجع ذلك الى الباء من (بسم الله) معناها بى كان ما كان وبى يكون ما يكون على ما قرره المحققون ، وما أجمل قول بعضهم القرآن الكريم مفتتح بالباء من بسم ومختتم بالسين من قوله تعالى (والناس) فاذا ضممت أول القرآن وهى الباء الى آخره وهى السين فتنطق بلفظ (بس) وبس بمعنى حسب وحسب بمعنى كفى (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) .

ومن الاجمال فى ابداع المكونات له تبارك وتعالى كما أخبر جل وعلا بأنه أبدعها من حقيقة واحدة وتسمى بحقيقة الحقائق الأولية قال تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) فالباء بمعنى من كما هو صريح كلام العرب الذى نزل به القرآن الكريم قال تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أى بأمر الله وهذا هو الوضع العربى الذى لا يفهم منه الا هذا المعنى قال قائلهم :

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

فالماء يشرب منه لابه ، وعلى هذا يكون معنى ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا من الحق ، وتسمى بحقيقة الحقائق الكلية التى هى مصدر العبودية فهى أول عبد مخلوق له تبارك وتعالى اذ الوجود كله عبارة عن عبد ورب قال تعالى (ان كل من فى السموات والأرض الا آت الرحمن عبدا) والبديهى أن العبد حادث فمصدر العبودية حقيقة واحدة على ما قدمنا ، يتجلى الحق تبارك وتعالى عليها فيبدع بها ومنها ما يشاء ، ومنها عرف التفصيل بعد الاجمال فى قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حى) وفى قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) وفى قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وفى

قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضا هن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) وفى قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) .

وأجمل تبارك وتعالى فى الأرض كل مبدع فيها من نبات وجماد وحيوان ، وماء وهواء ونار ، وهى الأصل فى الثلاث فالنار يتولد عنها الهواء والماء وما تخلفه من رماد وهو التراب فهذه هى العناصر الأربع قال تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياءا وأمواتا) .

ثم أجمل جل وعلا فى تكوين الانسان فى قوله تعالى (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) ثم فصل تبارك وتعالى فى قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا) وقال تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) .

ثم أجمل سبحانه وتعالى فى ارساله الرسل لخلقه قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فالعالم اسم لما سوى الله تعالى فكان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم رسول الرحمة المهداة منه تعالى لجميع خلقه دنيا وأخرى علوية وسفلية وكان الرسل قبل حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الظهور جميعا نوابا عن حضرته فى البلاغ قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى

بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) فكان صلى الله تعالى عليه وسلم متنظرا لجميع الأمم قبل وجوده قال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا) وروى البخارى ومسلم من قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم « أنا دعوة ابراهيم وآخر من بشر بى عيسى بن مريم) .

ولا يخفى عليك أنا قد قدمنا الكلام على أن رسول الرحمة واحد وهو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد جعل سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام نوابا عن حضرته فى البلاغ اذ دعوة الجميع الى الله تعالى واحدة وهى مأموريتهم التى كلفهم تعالى القيام بها ، وجعل سبحانه وتعالى رسولا للشر أيضا واحدا يدعو اليه وهى مأموريته التى هو قائم بها لأنه سبحانه وتعالى هو الخالق للخير والشر — فكيف يجعل للخير رسلا ولا يجعل للشر رسولا ، ولكن لما كان تكوين رسول الخير لا يبقى مدة عمار الدنيا جعلهم رسلا تترى ، ولما كان تكوين رسول الشر يبقى ما بقيت الدنيا جعله واحدا ونوابه ومساعدوه فى الدعوة الى الشر ضد الخير بقوة من جنسه ومن تبعهم من بنى آدم .

ثم فصل تبارك وتعالى فى ارسال حضرته لأهل الدعوة من الانس قال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وكان من أهل الدعوة والتكليف بها الجن فأرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لهم كما أرسل قبله اليهم الأنبياء والمرسلون قال تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى

وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقال تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) .

ثم أجمل تبارك وتعالى فى مقام العارفين به بعد الأنبياء والرسل فى قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وفى مآلهم فى قوله تعالى (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ثم فصل جل شأنه فى أوصاف المؤمنين بعد أن ذكر تعالى ما هم عليه من التوفيق الالهى بقوله جل وعلا (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) كما فصل تبارك وتعالى أحوال الكافرين وما هم عليه من المخالفة لأوامره جل شأنه بقوله تعالى (أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .

ثم فصل تبارك وتعالى ما هو مندرج تحت المؤمنين بقوله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم ألو الألباب) وقال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) كما فصل تبارك وتعالى من هو مندرج تحت الكافرين من المنافقين ومن هم على مبادئهم كالخوارج والملحدين والخارجين عن

اجماع المسلمين بقوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقال تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) الآية .

فأنت ترى المؤمن بالفطرة الربانية والرحمة الالهية به تعالى ، مطمئن البال آمن السربال قرير العين مطمئن الخاطر مستريحا لما هو موفق له من العمل مصدقا بربه مؤمنا بآخر رسول وبجميع أنبيائه ورسله وهو بقضائه وقدره حلوه ومره وباليوم الآخر مؤمن ايمان اطمئنان قال تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ، وأما الكافر ومن على شاكلته مما قدمنا آنفا فتراه حيران لا يهتدى الى الصواب ولا يفكر الا فى كل مخالف معارض لكلام الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، طاعنا فى اجماع المسلمين محاربا لله ولرسوله قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) .

ومن أكبر مميزاتهم أنهم فى اعتقادهم فى القرآن الكريم كما وصفهم تبارك وتعالى فى قوله (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) اللهم انا نسألك العفو والعافية من عقائد الزائفين .

ومن الاجمال فى أفضل ما يتقرب به المتقربون اليه تعالى ، تلاوة

كتابه جل وعلا قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) وفى الحديث القدسى « من شغله تلاوة كلامى عن مسألته لأعطيته فوق ما يسأل السائلون » ولا يعادل ثواب تلاوة القرآن فى الأجر الا الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، حتى قال بعض العارفين ان القرآن يحبط أجره الرياء وأما الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحبطها رياء .

ثم فصل تبارك وتعالى أجر العاملين بعد ذلك فى أنواع ما يتقرب به اليه جل وعلا من صلاة وصدقة وذكر وجميع أنواع الطاعة له تعالى وجعل من مهامها الصلاة التى جمع سبحانه وتعالى فيها لهذه الأمة المكرمة بنبيها صلى الله تعالى عليه وسلم جميع أنواع صلاة المصلين من بنى آدم قبلهم والجن والملائكة بل فيها التسبيح الذى جعل تكوين موجوداته مشتملا عليه قال تعالى (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ، من نبات وجماد وحيوان وطائر ودابة وهوام وحشرات وهواء وماء ونار وتراب ، بل من لا يعتقد بوجود الاله فجميع ذرات جسمه تسبحه تبارك وتعالى رغم أنفه وذلك لافتقارها اليه جل وعلا وان كان هو لا يعرف ذلك لسبق شقوته .

ومن اجمال ما بين سبحانه وتعالى فى الدلائل على معرفته عز وجل بآثار صفاته ما ذكره سبحانه وتعالى من الآيات التى تدل على عظمته وكبريائه وعلوه وارتفاعه التى لا يشاركه فيها غيره وكذا أيضا من الآيات التى تقابل ذلك مما يفهمها من قدمنا لك ولا يتعقل الا بها كقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فدلت هذه الآية الكريمة على احاطته تعالى بجميع الجهات التى فهمها ابن آدم

بالأربع كما أبان له تبارك وتعالى فى قوله تعالى (والله من ورائهم محيط) وفى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط) وناهيك بالآية الجامعة فى البرهنة على قدرته سبحانه وتعالى على كل شيء حتى الذرات قال تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء) ومثل ذا فى الاجمال فى الدلالة على توحيده جل وعلا قال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) ومعناها لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر اليه جميع ما عداه الا الله ، وهى الكلمة الحق والمعرفة الصدق حتى ألغز بها بعضهم فى قوله « من أول من شهد لله تعالى بالوحدانية » تقول : هو سبحانه وتعالى شهد لنفسه بنفسه قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو) .

ومن الاجمال له جل وعلا فى الموجودات أنك تجد فى بعض أفرادها من المزايا ما هو مطوى ومندرج تحت مزايا البعض الآخر فى الجماد ، والنبات ، والحيوان ، وكذا النار والتراب والهواء والماء .

ومن هنا يتضح لك أن أفراد النوع الانسانى فى كل زمان محصورون بالعدد لا فرق فيهم بين كامل وناقص ضرورة أن الناقص داخل فى الكامل اذ الكامل فيه ما فى الناقص وزيادة ، ومن هنا كان أكمل منه وهكذا الى أن ينتهى الكمال فى كل عصر الى كامل واحد لا يشاركه غيره وهذا ما يسمى بالقطب الغوث قال تعالى (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وهذه الآية ترد بها على الخوارج الملحدين الذين يقولون مخلوق مثلك مثله والحق أن الله تبارك وتعالى لم يجعل فى خلقه احدى ذرتين مثل الأخرى بصريح كلامه العزيز اذ لا ضرورة للثانى ، والسنة المطهرة كذلك فاذا قابلنا أكمل هذا العصر مع من هو أكمل العصر الذى قبله وجدنا

أحدهما كذلك آكمل من الآخر ، وهكذا الى عصر النبوة فكانت النبوة أكمل أهل عصرها مع من فيها ممن هو دونه فى الكمال فاذا قابلنا جميع أفراد الأنبياء والمرسلين كذلك وجدنا أن أحدهم أكمل من الآخر ضرورة أن الكامل داخل فى الأكمل الى أن ينتهى الكمال الى كامل واحد لا يشاركه فيه غيره قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فهذه هى الأدلة العقلية المطابقة للأدلة النقلية وهذه هى سنة الله تبارك وتعالى فى مكوناته فلا تجد فيها شيئا يعادل الآخر من كل الوجوه بل لابد من التفاوت فى أشياء دون أشياء ، ومن هنا كانت معرفته سبحانه وتعالى فى خلقه وخاصة بنى آدم متفاوتة ومنها يفهم التفصيل بعد الاجمال أو الاجمال بعد التفصيل .

ومن الاجمال فى النبات أن الناقص فيه داخل فى الكامل أيضا وهكذا الى أن ينتهى الكمال فى النبات الى كامل واحد قال تعالى (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) فمنها تعرف الاجمال فى الكامل منها والتفصيل فيما دونه والحيوان كذلك والجماد، والماء ، والهواء ، والنار ، والتراب وكل موجود له تبارك وتعالى تجرى فيه هذه المسألة من الاجمال والتفصيل واقتصرنا على ما ذكرنا خشية الاطالة وهو واضح فى الماء قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى) وهو واضح فى انتاج الموجودات وحياتها .

ومن الاجمال فى تشريعه تبارك وتعالى لعباده بعد معرفته جل وعلا ان لا يدعوا الوسائل فى كل شىء بحسبه من حاجياتهم الدينية والدنيوية والأخروية ، اذ جعل تبارك وتعالى لكل شىء وسيلة فلا يتأتى للعبد ادراك مطلوبه الا بالأخذ بها والتعويل عليها مع اعتقاده الجازم أنها لا تفعل بنفسها انما يفعل الله تبارك وتعالى بها قال تعالى (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقد بينا ذلك فى التوسل والوسيلة وسيأتى موضحا بأجلى تبيان وخاصة فى قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) قال العلامة البيضاوى أى مما قربه اليكم وجعله بين أيديكم ، فرضوان الله تعالى له وسيلة خاصة ، وادراك المعالى فى الدنيا والآخرة له وسائل وفى نفس حياة الأشخاص والأفراد ووقايتها من كل مؤلم مؤذ وسائل خاصة وفى جميع أفراد الحاجيات لها وسائل ومن غيرها لا يتأتى حصول شىء كما أرشد سبحانه وتعالى عباده الى ذلك حتى الآخرة والميراث فى الجنة لا ينال الا بالوسائل وفى قوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وفى الحديث الشريف « اذا سألت فاسأل الله » الحديث من أكبر الدلائل على اتخاذ الوسائل فى كل شىء بحسبه وقد بينا طرفا من ذلك وسيأتى بأوضح بيان ان شاء الله تعالى .

وقد قررنا كثيرا ان أول واجب على بنى الانسان معرفة الله تعالى وتشريعه لعباده ليفردوه جل وعلا فى الأقوال والأفعال ويعرفوا أنه سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار كما ستعرفه ان شاء الله تعالى .

الفصل الخامس

دعوة الرسل إلى الله واحدة

لا يخفى على ذوى العقول الراجحة وذوى الايمان واليقين أن أهم ما أوجب الله تعالى على عباده وهو معرفته تبارك وتعالى بالقدر الممكن للبشر وقد لفت نظرهم اليه وأبان لهم تعالى أنه لا يعول على شىء فى هذا الوجود الا على ذلك وقد عرفهم أن ذلك هو الغرض الوحيد والأمر السديد من هذا الوجود ، ولما كان الانسان هو المراد له تعالى من هذا الوجود وهو محل نظر الحق فى هذا الخلق بما أوجد فيه سبحانه من

كافة الاستعدادات المرتبطة بكافة المستلزمات له وأوجد له تعالى كل الدلائل التى تدله على الله تبارك وتعالى وفوق ذلك كله أرسل له الرسل ليزيده نورا ويقينا لئلا يكون له حجة على الله أو يتسرب له دليل على المخالفة فى كل مبين فى التشريع الحكيم وخاصة معرفته عز وجل ، ولما كانت هذه الشرائع مشتملة على ثلاثة أقسام القصص ؛ والمعاملة ، ومنتهاها معرفته سبحانه وتعالى فقدم له الدلائل والبراهين مع الفطر التى فطره عليها وارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام له والتبشير والانذار . ومع هذا كله فان بنى آدم لم يقع منهم الخلاف الا فى هذا الأهم الذى ما كان وجودهم الا لأجله وهى معرفته سبحانه وتعالى . ولكن لما كان وجودهم بمقتضى حكمته العالية على قسمين فريق منهم فى الجنة وفريق فى السعير ، وكان بمقتضى هذا الوجود الظاهرى لم يعلم هذا الا له جل وعلا ، ولذا جعل استعدادهم فى التكوين بحكمته العالية على قبول الحالتين الموصلتين الى هذا المآل ، وأبان لهم تبارك وتعالى على أيدى أنبيائه ورسله أن السامع منهم المطيع المنيب لأمره تعالى الواقف عند حدوده التى بينها لعباده غير متعد لها يبشر بحسن المآل ، والمخالف المعرض عن تلك الأوامر الالهية غير المبالى لها ينذر بسوء المآل ولا يعرف ذلك الا بنتائج هذه الأحوال والأعمال وان كان الأصل فى التكوين لبنى الانسان على النسيان كما قال العارف بذلك .

وما سمى الانسان الا لنسيه ولا القلب الا أنه يتقلب

مقتبسا ذلك من قول المبدع جل وعلا (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) فأبان سبحانه وتعالى أن الانسان خلق على النسيان ليقابله بكرمه بالغفران وما ذلك الا بعد بيان خطيئته له واعترافه بخطئه وغفلته عما أمر

به ونسى ما عهد اليه من التزام الأوامر قبل المخالفة كما قال تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وكانت المقابلة لذلك الاعتذار والأسف على ما نشأ من ذلك النسيان (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وكانت هذه هى الأصل فى عدم استعداده أن يكون من أولى العزم من الرسل ليعلم العقلاء أنه تبارك وتعالى يوجد من الفاضل الأفضل قال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) ولما كان الأمر عنده تبارك وتعالى أن للأنبياء والرسل درجات وجعل أعلاها سبحانه وتعالى درجة أولى العزم من الرسل كما بين سبحانه بقوله لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ بذلك فى محكم كتابه بقوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أولو العزم من الرسل هم من كان اختبارهم وتمحيصهم فى محن الدنيا أشد الخلق بلاء مع تحملهم وصبرهم على ذلك فنالوا بها أعلا درجة عند ربهم الكريم العظيم قال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وبهذا نالوا درجة التجاء العباد اليهم فى شدة الموقف فى الآخرة وهوله وان كان الناس يقصـــدون آدم أولا لظهور فضله لأول البشرية فيتنحى منها وعنها بما صدر منه من النسيان فيما أمر به ثم نوحا لتقدمه على الباقين فى الرسالة وسماه الله تعالى عبدا شكورا ولانشاء الخلق بعده منه فمن كان معه كما هو بيان حضرة من أسند سبحانه وتعالى اليه البيان والتبيين صلى الله تعالى عليه وسلم الذى خص من الله تعالى أنه (لا ينطق عن الهوى) كما هو صريح حديث البخارى الذى يرويه فى الشفاعة فيتنحى نوح عليه السلام كما صدر منه ثم يأتون ابراهيم عليه السلام لخلته فيتنحى أيضا لما صدر منه ،

ثم يأتون موسى عليه السـلام ، لتكليمه ربه جل وعلا فيتنحى ويذكر ما صدر منه ، ثم يأتون عيسى عليه السلام فيتنحى ويذكر ما صدر من قومه ونسبتهم اليه الألوهية فيأتون حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها فيشفع فيشفع .

وهذا الحديث هو أكبر دلالة على الخارجين عن اجماع المسلمين الذين يضللون عباد الله تعالى البرآء بأن الأمور الغيبية التى منها شفاعة الشافعين لاتعلم لأحد ويستدلون لهم بقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ويضمون اليها قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشـفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) وقوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) الآية على أن هذا الحديث السابق يقطع ألسنتهم فى برهنتهم الكاذبة التى لا يعقلون لها معنى لأن الله تبارك وتعالى أبان لعباده عز وجل على لسان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أذن لحضرته فى الشفاعة العظمى بهذا الحديث السابق وفى الحديث المروى عند البخارى ومسلم وجميع أصحاب السنن والمسانيد ولفظه الشريف « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى من الأنبياء ، نصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وقربتها طهورا فأيما امرىء من أمتى أدركته الصلاة فليصلها ، وكان النبى يرسل لقومه خاصة وأرسلت للناس كافة ، وأعطيت الشفاعة العظمى » أليس هذا كافيا فى ردعهم وتبكيتهم لتضليلاتهم لعباد الله تعالى ؟ وغيرهما كثير فى السنة من شفاعة الشافعين التى يشهد لها ويؤيدها ويقـوى صحتها ما قص تبارك وتعالى علينا فى محكم التنزيل عن أحوال المجرمين بقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) التى مفادها أن هناك شفعاء يشفعون فتنفع شفاعتهم وقوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)

فهل غفلوا عن هذه الآيات والأحاديث أو لم يطلعوا عليها ولم يقرأوا القرآن أو هم لطمس بصائرهم لم يهتدوا الى معانيها ولم ينظروا الا ما هو أمامهم من الضلالات والتضليل نسأل الله تعالى العفو والعافية، أو هم لم يقصدوا الا الخروج عن اجماع المسلمين مكابرة ولكن لما كان الأمر عند ربك فى كل شيء لم يخرج عن حالتين الحق والضلال كما قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون) وهؤلاء يدعون أنهم على الحق دون غيرهم ، وكل عاقل يعتقد أن الحق واحد لا يتعدد ولا ينقسم فلا بد أن يكون فى جانب واحد من المتعارضين المتخاصمين ضرورة عدم الانقسام فيه والتعدد له فكيف بهؤلاء أهل الفرق والضلالات الذين لم يجمعوا فى مسألة على ما هم متفرقون فيه ولم يتفقوا فى مسألة واحدة من الدين ، فهم مع كثرة فرقهم المخالفة لأهل الحق من قبيل قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء) فهم من مصداق الآيات ومن مصداق الحديث المروى عند البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) ورواه الأربعة عن أبى هريرة . لتعلم أن الخلاف بين الفرق قديم ، وأن كل هذه الفرق ضالة عن الحق ولا وزن لهم وان كانوا أكثر عددا كما قال تعالى (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) وأهل الحق وان كانوا أقلاء فى العدد ولكنهم كثيرون فى الفضل والمدد ، والحق عند أهله واحد وهم من على قدم الأنبياء والرسل لا يحيدون ولا يتفرقون وعلى الحق وبه يعملون وأما

أهل الضلال فهم الفرق التى قد خرجت عن اجماع أهل الحق . ومن أهم خروجهم وعدولهم ومفارقتهم لأهل الحق خروجهم فى معرفة الله تعالى التى هى أهم ما أوجبه تعالى على عباده ، وذلك هو مرمى ومغزى وأهم مايدعو اليه الشيطان وتلك أمنيته التى طلبها وتمناها على الله تعالى بأن لايدع أحدا من بنى آدم الا ويغويه كما بينه تبارك وتعالى فى كتابه العزيز من قوله تعالى عز وجل (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) الآيات ، وذلك عام فى عموم بنى آدم الا من عصمه الله تعالى بالنبوة أو الرسالة أو التقوى والورع بالحفظ الالهى . وكان أول منشأ الخلاف فى معرفة الله تعالى من ذرية آدم الذين سكنوا الهند وقالوا الملائكة بنات الله . والجن أولاده وعارضوا « شيثا » وصى أبيهم آدم عليه السلام ثم ازدادو فى الضلالات بدعوى النور فعبدوا الشمس والقمر ، وطوائف منهم عبدوا النار ، وطوائف أخرى عبدوا الجن ، قال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) الآية وهناك تفرقت وتشعبت وكثرت أنواع المعبودات حتى أوصلوها الى عبادة البهائم مع مختلف أنواعها الى زمن ادريس عليه السلام ، وكان اختلافهم فى المعبود جل وعلا وكثر شقاقهم فى التعريف به سبحانه وتعالى حتى جاء زمن نوح عليه السلام فازدادوا فى شقاقهم على ما هم عليه فى التعرف بربهم سبحانه وتعالى بالطعن فى النبوة والرسالة فعارضوا نوحا عليه السلام وأخذ يدعوهم الى الله تعالى وهم يجحدون دعوته زمنا طويلا فلم يهتد أحد منهم الى أن آل أمرهم الى الطوفان كما قص تبارك

وتعالى علينا ذلك (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخـذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) ولا زال خلاف الناس كذلك فى معرفة الله تعالى والطعن فى الرسل وزادوا عليها عبادة الأصنام قال تعالى (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا) الآيات . واستمر أمرهم على ذلك بمعارضة أهل الحق من زمن نوح عليه السلام وهود وصالح ولوط وابراهيم وبنى ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وزمن موسى وعيسى عليهم السلام الى زمن سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فقد بلغ كل شيء منتهاه فى الضلالات وخاصة فى معرفة خالقهم مبدع الكائنات جل وعلا حتى تهكموا على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بقولهم ما قص تبارك وتعالى علينا فى كتابه العزيز (أجعل الآلهة الها واحدا ان هـذا لشيء عجاب) وهكذا كان شأنهم فى معرفة الله تعالى يتلقاها كل ضال عن ضال وذلك من اغواء الشيطان وجنوده ضد أهل الحق من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق أجمعين كما بينا هذا فى مواضع كثيرة .

ومن أهم ما يرجوه ابليس اللعين منهم أن يجهلوا ويضلوا فى معرفة خالقهم جل وعلا حتى اذا ما ضلوا فى تلك المعرفة سهل اضلالهم فى كل مشرع للحق عز وجل فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ليصدق عليهم قوله تعالى (ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى) الآية ومن أهم اغوائه لحزبه أن يطمس عليهم ويضللهم فى أنواع الطرق والدلالات فالتى نصبها الحق جل وعلا على معرفته تعالى فوق الفطرة

التى فطرهم عليها وزادهم فيها بيانا وايضاحا بارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنذرهم بقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . ومن العجيب أن اللعين ما ترك رسولا ولا نبيا الا وقد عارضه باغواء أتباعه كما قص تبارك وتعالى علينا فى تسلية حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لما تمنى ورجى أن لا يفلت أحد من الناس الا ويؤمن به فسلاه تبارك وتعالى بقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) . فالرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين جعلهم الله تعالى دعاة الى الخير الذى يحبه الله ويدعو عباده الى العمل به ، وأهم ما بعثوا به ويدعون اليه هو معرفته تبارك وتعالى بآثار صفاته تعالى التى نصبها جل وعلا دلائل على معرفته بما فى ذلك من أسرار أسمائه ومظاهر أفعاله كما سنبين قريبا ان شاء الله تعالى.

دعوة الأنبياء والمرسلين لله رب العالمين واحدة

اعلم أن دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ما كانت الا على مبدأ واحد ودين واحد وشرعة واحدة وعقيدة واحدة وارشاد واحد لطريق واحد الى معاد واحد من لدن آدم عليه السلام الى سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم بل الى يوم الدين كذلك فكان كل من على مبـدأ جميع الأنبياء والمرسلين يسمون بالمؤمنين المسلمين اذ الايمان هو التصديق بالله تعالى وحده باطنا وهو أحد المعانى التى ما ترك سبحانه وتعالى شيئا من

موجوداته الا وجعله على معنى وصورة فى الخارج المشاهد المعاين تدل عليه ، والاسلام هو الاستسلام اليه تعالى بالانقياد فى جميع ما أمر به على يد هؤلاء المكرمين ظاهرا وهو صورة الايمان باطنا — ولا تعجب فانه تبارك وتعالى قال (الذى خلق الموت والحياة) فالموت معنى من المعانى وله فى الخارج صورة تدل عليه وهى عدم الحركة فى جميع الحيوان ، والحياة معنى من المعانى ولها صورة فى الخارج تدل عليها وهى الحركة فى الحيوان . فكذلك الايمان صورته الاسلام . وقد عرفنا ذلك من الكتاب العزيز المحفوظ بالعناية الربانية المسمى بالقرآن المجيد ، وقرآن . بمعنى جمعان . كما هو الوضع العربى . بمعنى أنه جمع فيه سبحانه وتعالى ببديع قدرته وعظيم صنعته جميع ما فى الكتب المقدسة السماوية وزيادة وكما سماه تعالى أيضا بالفرقان . أى الجامع للفرق بين الحق والضلال وان كان جاء فيه ما يسميه المخالفون للمسلمين المؤمنين بالأديان التى ذكرت فيه وهى خمسة باعتبار مسمياتهم على حسب اعتقاداتهم وهى كلها من مسميات الشيطان والهامه لحزبه ليقابل بكل واحد منها الدين الحق تشريع الحق سبحانه وتعالى لأن دينه سبحانه وتعالى واحد وهو واحد فكيف يجعل لعباده أديانا ؟ فهى خمسة للشيطان. المجوسية والصابئة واليهودية والنصرانية والمشركون عبد الأصنام على ما ستعرفه . وأما دين الحق سبحانه فهو واحد فقط وهو الايمان والاسلام كما أقر به كل رسول ونبى وقومه فها هو سيدنا نوح عليه السلام . أول معارض فى الرسالة قال تعالى حاكيا لنا ما دار بينه وبين معارضيه من قومه بقوله تعالى (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وها هو سيدنا هود عليه السلام قال تعالى (ولما جاء

أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) الآية وسيدنا صالح عليه السلام قال تعالى (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه) الآية وها هو سيدنا لوط عليه السلام الذى جمع الله تعالى لنا فى أمره الايمان والاسلام قال تعـــالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وها هو أبو الأنبياء والمرسلين خليل الرحمن عليه السلام قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا آنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الآية وقال تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) وها هو سيدنا يوسف عليه السلام يقول تعالى عنه (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وها هو سيدنا شعيب عليه السلام يقول الله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) الآية وها هو سيدنا موسى عليه السلام يقول الله عز وجل حاكيا لنا تبارك وتعالى عن قوله لقومه مرة قال لهم بالايمان (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) المائدة . ومرة قال لهم بالاسلام (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) يونس . وها هم سحرة فرعون الذين عارضوا سيدنا موسى عليه السلام حكى الله تبارك وتعالى لنا عنهم لما خذلوا ورأوا آية الله المعجزة للبشر بقوله تعالى (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة

لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وكان الأمر سائدا عند جميع المخالفين للأنبياء والمرسلين أن دين الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين الاسلام كما بين لنا سبحانه وتعالى ما صدر من فرعون لما أحدق به قال تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) وها هو سيدنا سليمان عليه السلام قال الله تعالى لنا فى شأنه (ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين) وقال تعالى (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) . ولما كان دين أتباع الأنبياء والرسل الاسلام ومعلوم به عند العام والخاص قال تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وقال تعالى (قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وها هو سيدنا عيسى عليه السلام اذ قال الله تعالى (قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون) وقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) وها هو سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) وقال تعالى (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ثم بين سبحانه وتعالى لعباده أجمع بقوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فبين سبحانه وتعالى

لعباده جل وعلا أنه لم يشرع لهم دينا غير الاسلام ومن ينهج منهم على غيره فلن يقبل منه ولا ينال رضوانه تعالى الا من تمسك ببيانه وتبيانه وأصوله وفروعه قال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين آدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) الآيات .

فها هو بيان الحق عز وجل لعباده الأنبياء والمرسلين بيان واحد ودين واحد ولم يشذ أحد منهم عنه فى البيان والتبيين ولم يظهر لنا أن أحدا منهم بين لأتباعه فى دين الله مجوسية أو يهودية أو نصرانية ولا بهائية ولا قاديانية . اللهم الا أن يكونوا من قبيل قوله تعالى (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

تعريف الأنبياء والمرسلين رب العالمين لعباده المؤمنين

من أمعن فى النظر وتأمل بعين الفكر وجد أن حكمة الحكيم العليم لارشاد عباده عامة لما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية لاسعادهم ولاطمئنان بالهم وصلاح حالهم فى الأحوال الثلاثة التى أهمها معرفته سبحانه وتعالى وكان عليها أصل مدار الارشاد ولم يحد واحد منهم عنها وكان بيانهم وارشادهم لعباد الله تعالى بآثار الصفات من بديع الكائنات وأسرار الأسماء سواء أكانت من أسماء الذات له تعالى أم الصفات أم الأفعال أم منهما جميعا ، وفى قصة آدم عليه السلام أنه لما أحس خطيئته واعتذر قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وذلك بعد أن عاتبه سبحانه وتعالى هو وزوجه على المخالفة بقوله تعالى (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان

لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وها هما ابنا آدم اللذان نذرا نذرا لله تعالى قال عز من قائل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين) الآيات وها هو ادريس عليه السلام وقد عارضه قومه فى معرفة الله تعالى كما جاء فى بيان السنة المطهرة حتى كانت النهاية له قوله تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) وها هو نوح عليه السلام أول من عورض فى الرسالة وفى معرفة الله تعالى قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وها هو هود عليه السلام قال تعالى (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) وها هو صالح عليه السلام قال تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) وها هو لوط عليه السلام قال تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) الآيات وها هو سيدنا ابراهيم عليه السلام قال تعالى (ألم تر

الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) وكان قد ابتلى عليه السلام بالضالين مع كثرة معبوداتهم من الشمس والقمر والنجوم والأصنام ماقص تبارك وتعالى علينا من بيان ذلك وكان قد أكرمه الله تعالى بالحجج البالغة والبراهين القوية الساطعة التى امتدحها عز وجل بقوله تعـــالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) فكان منها ماقال تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) وكم له عليه السلام من مثل هذه الأدلة التى أعجز بها قومه كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) هكذاكانت حججه عليه السلام المزودة بقوة الايمان واليقين . كيف لا وهو أب لجميع الأنبياء والمرسلين المكرمين الذين كانت حججهم فى معرفة رب العالمين واحدة متحدة وهاهو سيدنا موسى عليه السلام الذى قال له فرعون ، ما رب العالمين يريد أن يصفه له بما يعتقد أنه جسم وفى السماء كما هى عقيدة

الضالين من عبدة الأنواع الحادثة لهم فى الأرض مع اعتقادهم بأنه فى السماء وهو الاله الأكبر وهذه آلهة صغرى توصلهم عبادتهم لهم الى الاله الأكبر قال تعالى حاكيا عنهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فالفرق الضالة فى الاسلام يعتقدون أنه جسم وفى السماء ولذا تراهم على عقيدة فرعون الذى هو على مبدأ ابليس اللعين وحزبه وأول مقابلة لسيدنا موسى لفرعون تعطيك صورة عن ذلك قال تعالى (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون . ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) هذه أجوبة سيدنا موسى عليه السلام لمن اعتقد غير عقيدة الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم وفيها ما فيها من البيان والارشاد لمن أراد أن يعرف الله تعالى بالقدر الممكن للبشر كما شرعه تعالى على يد من اختارهم من خلقه ليبينوا لعباده أهم ما يجب عليهم وهى معرفته تبارك وتعالى التى ليس فيها معنى الجسمية والمكانية

من الفوقية والتحتية ولا الجوارح مما يعتقده معارضو أهل الحق من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق المؤمنين أجمعين .

واعلم أنه ما أضل وأغوى عموم بنى آدم من الضالين المعارضين للأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم الا ابليس اللعين الذى أعطى على نفسه العهد والميثاق أن يضلهم ويغويهم أجمعين ومن نجا منه فى استغراق الغواية بالكفران الظاهر لمخالفة كل نبى مرسل جديد بعد النبى الأول فانه يوقعه فى غواية أخرى وهى التشقيق والتفريق فى كل ما شرع عن الأنبياء والمرسلين ليبنى عليه كل مخالف ومعارض لهم لاستمرار الشقاق والتفرقة بين عباد الله أجمعين . على أنه عارف بأن أهم ما يتطلبه الحق من عباده هى معرفته تبارك وتعالى فيحاول أن يضلهم باعتقادات مختلفات فى معرفته جل وعلا — فاذا ما فعلوا ذلك سهل عليه التشقيق والتفريق فى كل ما شرع لهم ليحيدوا به عن الحق المراد له تبارك وتعالى الذى جاء به المشرعون من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من عباد الله المؤمنين المخلصين . ولذا كان هذا الشقاق وعدم الوفاق مستمرا بين عباد الله تعالى من عهد آدم عليه السلام الى يوم الدين وذلك لمقتضى الحكم الربانية العالية التى تعجز عنها مدارك الانسانية القاصرة قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) الآية .

وكان الأمر كذلك لأجل التفويض له تعالى والتسليم اليه فى كل ما يصدر فى العوالم عند نتائجها واظهار غاياتها لأنه لا فاعل غيره جلت قدرته وتعالت عظمته .

وها هو سيد العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين ، أما انه سيد العالمين فمن المقرر عقلا ونقلا أن جميع الموجودات للحق عز وجل هى عباد الله تعالى قال تعالى (ان كل

ما فى السموات والأرض الا آت الرحمن عبدا) ولا فرق فيهم بين فاضل ومفضل ومفضول وكان أفضلهم بنو آدم الذين جعلهم تعالى أفضل خلقه أجمعين لما خلق لهم كل شيء وسخر لهم كل شيء ، وكان أفضلهم رسله المكرمون وكان أفضل الرسل منهم أولو العزم وكان أفضل أولى العزم سيد العالمين لأنه لو كان شيء أفضل منه لكان سيدا للعالمين ، وأما انه خاتم الأنبياء والمرسلين فمن المقرر عقلا ونقلا أن الله لم يترك عباده هملا من غير أنبياء ومرسلين أكثر من المدة التى كانت بين حضرته وسيدنا عيسى عليهما الصلاة وأفضل التسليم وها هو من زمن بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقتنا هذا لم يجىء أحد ادعى النبوة أو الرسالة مؤيدا بالمعجزات التى كان يؤيد بها سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله الا أهل الدعاوى الكاذبة التى ليس لهم بها أى صلة لله رب العالمين من رؤساء الفرق الضالة والأحزاب الكاذبين من القاديانية والبهائية والاسماعيلية وغيرهم .

فكان صلى الله تعالى عليه وسلم كما وصفه ربه تبارك وتعالى لا ينطق عن الهوى مع تولى الحق عز وجل عن حضرته فى الرد على كل سائل له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الزمن الذى بلغ فيه كل شيء منتهاه وخاصة فى الضلالة وكثرة معبوداتهم مع اختلاف أنواعها قال تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لسيدنا حصين والد سيدنا عمران بن حصين « كم كان لك من الآلهة يا حصين قبل الاسلام قال سبعة يارسول الله قال أى اله فيهم كنت ترجوه لنفعك ولدفع ضرك قال اله السماء قال مالك من اله غيره لا اله الا هو رب العرش العظيم » وقد سأل اليهود حضرته بقولهم صف لنا ربك يا محمد فأنزل الله عز وجل قوله (قل هو الله أحد الله الصمد) السورة،

ولم يثبت فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة شيء فى تعريف الحق عز وجل لعباده بالقدر الممكن للبشر الا خاليا عن مشابهة المخلوقات له تعالى ، وهذه هى عقيدة الأنبياء والمرسلين قديما وحديثا حتى فى الأمم السابقين كما بين لنا تبارك وتعالى ذلك فى كتابه المبين بأن كل من كان مؤمنا بالرسول السابق ثم يأتى الرسول الجديد ويؤمن به فهو على قدم المؤمنين المسلمين ومن كان مؤمنا بالرسول السابق ولم يؤمن بالرسول اللاحق فهو من القوم الكافرين لأنه خالف سنة الله تعالى فى خلقه وكذب الرسول اللاحق فهو مكذب لله تعالى لأن سنته تبارك وتعالى أن كل رسول كان يخبر عما يلحقه من الرسول الآخر وخاصة سيد العالمين الذى ما من رسول ولا نبى الا وأخبر أمته به وعنه . ومن هنا كانوا هم نوابا عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغ قال تعـالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وقد بين ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل آمن بالنبى الذى قبلى ثم آمن بى ، ورجل يشترى الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ثم يتزوجها ، وعبد يؤدى حق مواليه وحق الله » وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لحكيم بن حزام لما سأله « يا رسول الله أرأيت أشياء كنت اتحنث بها فى الجاهلية فهل تنفعنى قال أسلمت على ما أسلفت » .

فيا أخا النصيحة ويا أخا العقل والرشد هل رأيت خلافا بين أهل الحق المجمعين عليه ؟ طبعا لا . وانما الخلاف من المعارضين المخالفين لهم فالحق واحد وأهله مبدؤهم وعقيدتهم واحدة وأهل الضلال مبدؤهم واحد وعقيدتهم واحدة ، والذوق السليم يفرق بين المبدأين لأن مبدأ أهل

الحق فى معرفة الله تعالى على مبدأ الأنبياء والمرسلين فينزهونه تبارك وتعالى عن كل المماثلة والمشاركة ويثبتون له تعالى كل كمال وهذا هو الأصل فى العقائد والتشريع وما يفهم بعد ذلك فى فروع التشريع يكون على هذا المبدأ الصحيح السليم ومن آمن به وعمل على مبادئه يتدرج تحت قوله تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم ألوا الألباب) وأما غيرهم من الذين يصفون الحق عز وجل بالأوصاف المشابهة للحوادث ويوجبون له تعالى المكان والزمان وصفات الحوادث الذين قال تعالى فيهم (وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فتراهم على هذا المبدأ لا يحيدون ولا هم عنه ينصرفون بل يتلمسون له الأدلة الواهية الموافقة لأغراضهم وأنظارهم ويظنون أنهم بها على الحق وبه يعملون ، أفلا ينظرون الى معارضيهم من أهل الحق ويتأملون فى أى ناحية هو واليه يجنحون وقد قلنا مرارا ان أساس العقائد والأحكام الشرعية كلها أصولها وفروعها هى معرفة الله تعالى اذ كل من عرفه سبحانه وتعالى منزها له عن هذه النقائص يفتح الله تعالى عليه فيفهم أسرار مكوناته فى خلقه ومن هنا يكون بعد معرفته لله تعالى قد عرف كل شىء ومن جهل معرفته جل وعلا وضل فيها فقد جهل وضل فى معرفة المكونات فلا تحكم عليه بعد ذلك بأنه اهتدى ولو فى مسألة واحدة ولو وافق فيها أهل الصواب فانها تكون منه رمية من غير رام أو يكون هو قد اعتقد أن هذا أمر عظيم جاء به من عندياته لمخالفته لاخوانه وأهل حزبه ليفخر بها عليهم ظنا منه أنه جاءهم بالغريب عليهم أو يكون هو قد جاء بها لغرض فى نفسه يتوسل بها الى حال يوحى بها فى الضلال مموها لأهل الحق أنه وافق الصواب ، وكيف يوافق الصواب الضال الذى سماه الحق عز وجل أعمى البصيرة قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ولذا أخبر سبحانه وتعالى أنه

فى الآخرة يكون عكس الدنيا أعمى البصر لا يشاهد به أحوال الآخرة من القيام من القبور الى المحشر قال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فمن أهم ما تعرف به الضال هو جهله وتخبطه فى معرفة الله تعالى وكذا معرفة من جعله الله تعالى سيدا للعالمين بوصفه له بمساواته به فى كل شىء فى البشرية ، وكيف يعرف قدر سيد العالمين بمميزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وخصائصه التى لم يشاركه فيها أحد حتى الأنبياء والمرسلون وكذا تخبطه فى آل بيت النبى الطيبين المكرمين واذا أردت أن تعرف الضال على حقيقته وتجزم بضلاله فزنه بميزان حب آل البيت الذين هم الأولياء الصالحون اذ لا يوجد لله تعالى ولى على وجه الأرض فمن يخرق الله تعالى على أيديهم العادات الا وهو من آل البيت الطيبين المباركين الطاهرين فهذا هو الميزان الذى تعرف به الضال الشقى من الصالح التقى المهتدى ، لأن حبهم هو علامة حب الله تعالى فى عبـاده الصالحين قال العلامة البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى همزيته :

كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضـاء

قال صلى الله تعالى عليه وسلم « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى » الحديث روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » . اللهم ارزقنا حبهم وأدم لنا ودهم وعطفهم واحشرنا معهم وأدم علينا رضوانك وحبك وعطف حبيبك صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا والآخرة انك كريم جواد غفور رحيم . آمين .

الباب الثالث

فيما عليه أهل الحق

من معرفة رب العالمين سبحانه وتعالى بالقدر الممكن للبشر مما أجمع عليه عقلاء الأمة الاسلامية سلفا وخلفا بالدليل العقلي والنقلي . وفيه فصول:

الفصل الأول

فى معـــرفة المتشـــابه

اعلم ، هدانى الله واياك لطاعته ، ووفقنى واياك للعمل لمرضـاته ، ونجانى واياك من الزيغ والضلال ، وأرشدنى واياك الى الحق والى طريق مستقيم ، أن المتشابه هو ما احتمل وجوها يشبه بعضها بعضا فهو من المشابهة والمشاكلة والمماثلة ثم اذا ردت الوجوه الى وجه واحد ، وأبطل الباقى وتعين فيه المعنى المراد صار المتشابه محكما .

والمحكم هو الذى لا يتعدى معناه لفظه ، بمعنى أنه لا يقبل التأويل فهو الصريح ، فالمحكم أبدا أصل ، ترد اليه الفرع ، والمتشابه هو الفرع ، ومن هنا تعرف معنى قول الحق عز وجل (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) .

علم الحق جل وعلا أن وجود أهل الخطاب والتكليف على حالتين . فجعل بمقتضى حكمته العالية البيان لهم والرشد على حالتين أيضا — فقال عز من قائل (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) وهو ميلهم الى غير الحق

واعراضهم عنه وزيغ قلوبهم فيه (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله) أى مبتغو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك فى القرآن ، واضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة ، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارى تعالى جسم مجسم ، وصورة مصورة ، ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لا شك فى كفرهم ؛ إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور . قاله الامام القرطبى فى الجزء الرابع صفحة ١٤ .

والمؤمنون حقا يقولون كما بين الحق حالهم (آمنا به كل من عند ربنا) . (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب) .

هذا وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذى أمرنا بالايمان به والتصديق بما فيه على قسمين : محكم ، ومتشابه فقال عز من قائل (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الألباب) قال العلامة القرطبى فى الجزء الرابع صفحة ١٧ : فقد روى عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل ، وأنهم داخلون فى علم المتشابه ، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به ، وقاله الربيع ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والقاسم بن محمد . اهـ منه . هذا وقد عدّ العلماء الأفاضل من المتشابه فى القرآن قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من فى السماء) .

(كل شىء هالك الا وجهه) (يد الله فوق أيديهم) (وجاء ربك والملك صفا صفا) وغير ذلك من الآيات التى ضرب الحق عز وجل بها الأمثال لعباده لتقريب المعانى للعقول البشرية مما تشبه صفات الحوادث ، ومن المتشابه من الأحاديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله كتب كتابه فهم عنده فوق العرش) الحديث ، و « ينزل ربنا الى سماء الدنيا »، الحديث ، و « يضحك ربك من ثلاث » الحديث ، وحديث الجارية : « أين الله » ، وحديث الرقيا ، « ربنا الله الذى فى السماء » الحديث ، و « يضع الحق قدمه فى النار فتنزوى » الحديث ، وهكذا من جميع الأحاديث التى هى من المتشابه وقد ضل فى فهم معناها الذين فى قلوبهم زيغ كما ضلوا فى فهم الآيات المتشابهات .

واليك بيان آية من المتشابه مما عليه اجماع المسلمين سلفا وخلفا . قال العلامة السبكى فى كتابه الدين الخالص طبع مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٦٧ هـ الطبعة الثانية صفحة ٢٣ ، ٢٤ قال : وقد اختلف العلماء سلفا وخلفا فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث . فالسلف يفوضون علم معانيها اليه تعالى ، فيقولون : ان الاستواء فى آية (الرحمن على العرش استوى) لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش ، أو اتصاله به ، أو جلوسه عليه ؛ لأنه تعالى اله . قديم ، موصوف باستوائه على العرش . قبل خلق العرش ؛ لأن القرآن الذى منه هذه الآية قديم ، موجود قبل ايجـاد العرش . فكيف يعقل أنه تعالى استقر على عرش غير موجود ؟ ولما خلق الخلق لم يحتج الى مكان يحل فيه ، بل هو غنى عنه . فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها .

والخلف : يقولون فيها : الاستواء معناه الاقتـدار والتصرف .

أو نحو ذلك ، فمذهب السلف أسلم ؛ لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف ، ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربى ، والقرآن عربى ، وحملهم على هذا التفسير المذكور ، ولم يفوضوا ، كما فوض السلف ، وجود المشبهة والمجسمة فى زمانهم زاعمين أن ظاهر الآيات يدل على أنه تعالى جسم ، ولم يفقهوا أنه يستحيل عليه عز وجل الجسمية والحلول فى الأمكنة ، وقد اغتر بعض العوام بقولهم فاعتقدوا أن الله تعالى جالس على العرش وحالٌ فى السماء فكفروا والعياذ بالله تعالى ، والنفس أمارة بالسوء ، والشياطين تحسن لها ارتكاب ما تخلد به فى النار فوجب على الخلف أن يبينوا للعامة معنى تلك الآيات والأحاديث المتشابهة ، حسن مدلولها فى القرآن والأحاديث النبوية ، بما يصح اتصاف الله تعالى به ؛ ليعرفوا الحق فيعملوا عليه ، ويتركوا الباطل وأهله فلا يكفروا ، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء ا هـ منه .

هذا والحمد لله تعالى قد بينا الآيات المتشابهة فى نظرهم جميعها . وكذا الأحاديث الواردة فى السنة ، وبينا وجهة نظرهم وسبب ضلالهم بها وفيها ، ومن أين أخذوا هذا الضلال وساروا عليه ، وجعلوه عقيدة ثابتة لهم ، وحكموا بها على جميع مخالفيهم بالكفر والاشراك ، وبينا لطلاب الحق المعانى المرادة منها وما عليه سلف الأمة الاسلامية وخلفها من أهل التحقيق ذوى القدم الراسخة فى العلم من الصحابة ومن تبعهم الى وقتنا هذا ، بأوضح بيان وأجلى تبيان ، وأصبح الحق فى هذا المقام واضحا وجليا ، لا يخفى على من له أدنى مسكة عقل الا من أضله الله فلا هادى له ، فمثل هذا لا تراه دائما الا مخالفا لاجماع المسلمين وهم خيار الأمة الذين أهلهم الله عز وجل للتبيين لعباده ، ولم يتركوا شيئا من البيان

فى جميع الآيات والأحاديث المتشابهة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بأحسن رضى الله عنهم ورضوا عنه) « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

حكمة وجود المتشابه فى القرآن والسنة

لا يخفى على ذوى البصائر النيّرة والعقول المثقفة . أن الألفاظ الموضوعة للتخاطب والتفاهم . منها ما يكون صريحا وجليا لا يحتاج الى تأويل فى المعنى المراد منه . ومنها ما يكون بخـلاف ذلك . وهو ما يحتمل عدة معان حتى لا يقف السامع منه على المعنى المراد . الا اذا رجع فيه الى المتكلم وعرف قصده من المعانى المرادة من هـذا اللفظ المحتمل . واذا كان المتكلم غير مرئى للسامع . أو ليس فيه اسـتعداد للاستفسار منه فانه يكون لزاما عليه أن يذكر كل المعانى المحتملة الداخلة تحت هذا اللفظ المشتمل على تلك المعانى كلها . وان كانت لا تتناهى الا فى عرف البشر .

فيا أخا العقل اذا كانت هذه الألفاظ الموضوعة للبشر التى عليها نظام المجتمع الانسانى وبها وعليها ارتباط واتحاد ووفاق المجتمع العمرانى . أفلا يكون كلام الحق جل وعلا أعم وأشمل وأوسع .

وان تشأ فقل لما كان كلام الحق عز وجل منزلا من لدن حكيم عليم على وفاق ما عليه بنو البشر جاء الكلام المجيد والتنزيل الحميد موافقا لما هم عليه ومشيرا لما ألفوه . وان كان الحق تبارك وتعالى جعل من سننه اختلاف العباد وتفاوتهم فى كل شيء حتى الفهم والادراك والتعقل

والتمييز . وها هم العرب القرشيون الذين نزل القرآن بلغتهم كانوا على تفاوت فى معرفته وفهمه . وكذا فى بيانه الشريف صلى الله عليه وسلم وقد بين الحق جل وعلا ذلك التفاوت فى الفهم والادراك فى قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فبين عز من قائل أن من الناس من يفهم بالاشارة . ومنهم من لا يفهم الا بالعبارة وهو البيان والتعبير الى حد ضرب الأمثال . ومنهم من لا ينفع معه البيان بسائر أساليبه وطرقه وهم أهل الجدال . فيحتاج لضرب من القمع والتنكيل . ومن هنا شرع جهاد السيف .

وان شئت التمثيل لتفاهم الفهوم والادراكات . فعليك بما روى عن الصحابة من الأفهام المختلفة فى قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) .

ومن أحسن ما نذكره لك فى الفهم من طريق الاشارة . فهم الصديق أبو بكر رضى الله عنه . انتقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للرفيق الأعلى من قوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه (ان الله خير عبدا من عباده بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله) الحديث . ويكفينا هذا فى حكمة ذكر المتشابه فى القرآن . مع أنه انما أنزل لبيان الأحكام الشرعية. وارشاد العباد وهدايتهم لما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة لوجوه . منها أن القرآن نزل بلغة العرب . وكلامهم منه المجاز . والكناية . والتلميح . وغيرها من المحسنات . ومنه الموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره . والمطول للايضاح والتوكيد . فأنزل الله القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله لو أرادوا معارضته بأى ضرب شاءوا . ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا : هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا . ومنها أن يستغل أهل الفكر والنظر برد المتشابه الى المحكم

فيتسع فكرهم . ويهتموا بالبحث عن معانيه فيثابوا على تعبهم . ولو أنزل كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولضعفت الفكر وخمدت الخواطر . ولكن مع الغموض تقدح الفكرة ويجتهد فى استخراج المعانى . ومنها اختبار عباده ليتميز الثابت على الحق . ويقف عند المتشابه ويرد علمه الى الله تعالى فيعظم ثوابه . ويتزلزل المنافق ويرتاب فيه ويزيغ عن الحق فيستحق بذلك العقوبة . ومنها اشتمال القرآن على جميع مستحدثات الكون . وكذا بيان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لصحة الرد اليه فى كل زمان وجيل . (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .

واعلم أيها القارىء الكريم أن الله تبارك وتعالى خلق بنى آدم وهم أهل التكليف على حالتين : منهم ما هو كامل بالقوة ومنهم من هو ناقص بالفعل . فالكامل بالقوة من اذا عرض عليه أمر الحق عز وجل قبله وتصور الأمر فيه وصدق المعنى المراد منه فيعمل بما فيه ويجزم أنه الحق المراد لله عز وجل فلا يحيد عنه ولا يبغى به بديلا وخاصة اذا كان سبقه فيه من شهد الله تعالى لهم بالعدالة والتوفيق وأجمع أهل عصرهم على خيريتهم بمقتضى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم .

وعلى هذا يرقى به الى حد أهل الكمال بالفعل وهم من خلقهم الله تعالى بالفطرة على معرفته جل وعلا . وبه يصبح من أهل المعرفة للحق والتحقيق . وهى الغاية القصوى له فى حكمة وجوده وخلقه وتكوينه .

ومن لا يقبل لذلك صرفا ولا عدلا . أو يرتاب فيه . أو يزيغ عن الحق المراد له جل وعلا وخاصة لمخالفته للاجماع السابق فانه يرد الى من خلقهم الله تعالى عن النقص بالفعل وهم الأنعام قال تعالى (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) (أولئك كالأنعام بل هم

أضل أولئك هم الغافلون) (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) فكل من كان كذلك ولم يهتد ولم يوفق فقد رجع فى الانحطاط الى هذا الدرك الأسفل بالعناد وعدم الوفاق أعاذنا الله من ذلك .

الفصل الثانى

فيما عليه أهل الحق من خيار الأمة فى معرفة البارى جل وعلا

يجب علينا معشر المخاطبين قبل كل شيء أن نعرف الله تعالى . اذ معرفته سبحانه وتعالى واجبة قبل معرفة كل شيء . حتى اذا ما عبدناه كنا عارفين بمعبودنا . وبتلك المعرفة تندفع شبه المجسمة له تعالى . ومعتقدى الحركة والسكون . والفوقية . واتصافه تعالى بالجوارح والحلول والاتصال والانفصال مما زعمته المشبهة له تعالى بصفات الحوادث بعد قيام الدليل بأنه تعالى (ليس كمثله شيء) وشبه القائلين بعدم وجود اله كالدهرية والطبيعية والوجودية وغيرهم ممن يعتقدون بألوهية الحيوانات والنار والأجرام من الكواكب والملائكة والانس والجن والأصنام وغيرها .

فنقول ان معرفة الله تعالى حق المعرفة أى معرفته تعالى بحقيقة الذات والكنه غير ممكنة لأحد سواه تعالى . حتى الحضرة المحمدية الجامعة لعلوم العالمين السماوى والأرضى المخصوصة بأرقى المعارف الالهية التى لا يعرج اليها ملك مقرب أو صديق محبب (أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه) الحديث . قال تعالى : (ما قدروا الله حق قدره) (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وورد « ما عرفناك حق معرفتك سبحانك لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » — ومن كلام سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه . كمال الاخلاص له تعالى نفى الصفات . وليس

المراد من هذه القضية نفى الصفات عنه تعالى بل المراد أن ما صدق هذه الصفات هو ذاته تعالى فليس له صفة تزيد على ذاته الا فى الانتقال العقلى . اذن فذاته سبحانه وتعالى حقا هى الوجود . والوجود ذاته . اذ كل ما عداه باطل وهالك وعدم . واليك دليل العقل والنقل على استحالة معرفته بالحقيقة الذاتية والكنه . فالدليل العقلى يكفينا فيه أن نعرف أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كل موجود . ومن كان موجودا قبل كل موجود كان منزها عن الحد والجهة . وكانت له السعة الحقيقية . ضرورة أن الحد موجود لأنه مفروض فصل بين شيئين. وما هو كذلك فهو موجود . وقد قلنا أن الله موجود قبل كل موجود . وأما عن الجهة فلأنها يشار اليها بالاشارة الحسية فيقال هذه جهة فوق أو جهة الشرق مثلا . وتقصد بالحركة اليها . وكلما يشار اليه بالاشارة الحسية ويقصد بالحركة اليه فهو موجود . وقد قلنا ان الله موجود قبل كل موجود . فاذن لا يسعنا الا أن نقول ان الله تعالى واسع سعة حقيقية. يعنى غير متناه بالذات . ومن كان كذلك وجب أن يكون واحدا . لأنه لا يتناهى ولا يزاحم ولا يكرر . هذا الدليل العقلى الذى لا يمكن لبشر نقضه . هو مستفاد من الدليل النقلى . قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فسر صلوات الله تعالى عليه وسلامه . الأول الذى ليس قبله شىء . والآخر الذى ليس بعده شىء . وهما يفيدان معنى التنزيه عن الحد . أى الأول والآخر ليس له حد لأوله ولا لآخره . والظاهر : أى الذى ليس فوقه شىء . والباطن : الذى ليس تحته شىء وهما يفيدان تنزيهه تعالى عن الجهة . أى ليس له نهاية لجهة فوق أو لجهة تحت . فى المقابلات العقلية البشرية . ومن كان كذلك أى لا أول لوجوده . ولا آخر لوجوده . ولا ظاهر فوقه . ولا باطن

تحته وهو محيط بكل شيء . فهو الوجود . والوجود ذاته . ومن كان كذلك كانت له السعة الحقيقية (ان الله واسع عليم) يعنى أنه تعالى غير متناه بالذات . فقل للضال فى معرفة ربه أين المكان الذى معه مشارك له فى الوجود فيمكث فيه أو يتحرك بالانتقال منه أو اليه بعد بيان الحق عز وجل فى كتابه العزيز . وسنة نبيه الكريم . والا لما أطلق عليه تعالى انه (غنى عن العالمين) . ولا يكون غنيا حقا الا اذا كان مرجع الكل اليه. بمعنى أن ذاته تعالى مستوعبة لجميع الذوات ولو قال ضال مقتضى كون الله معنا وأنه فى كل مكان محيط بكل الوجود أن يكون مرئيا لنا مع أنا لا نراه ولا نحس تلك المعية .

قلنا له انك أعمى البصر والبصيرة لأنك تؤمن بأن لله تعالى خلقا على وجه الأرض معك وهم مخاطبون بفروع الشريعة وهم الجن هل رأيت أحدا منهم ؟ وتؤمن أيضا بأن لله تعالى خلقا وهم بلصقك وملازموك على الدوام وهم الملائكة من حفظة وكتبة . هل رأيت أحدا منهم ؟ فاذا كنت عميت بالبصر والبصيرة عن مخلوق موجود معك فهل ترى الخالق جل وعلا ؟ وأيضا لو اعتبرت أن ذاتك هى الوجود كله . ولا يخفى عليك أن هذه الذات مركبة من حالتين مادية وروحية . والروح كما نعلم هى مستوعبة لجميع تلك الذات التى اعتبرنا أنها الوجود كله . فهل الروح فوق الدماغ أى الرأس حتى تقابل بها فوق العرش ؟ أو هى فى الرأس والصدر فقط ولم تنزل الى الأمعاء القـذرة والمخرجين المتنجسين واستقرارها فى الصدر والرأس فقط تقابل بها السموات فماذا تقول أيها الرائى فى ربك ولم تنظر الى نفسك حيث أمرك تبارك وتعالى بقوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) .

وان جاء فى عقله عدم وجود الحق عز وجل فى كل مكان ترفعا له

تعالى عن الحشائش والمراحيض والنار كما قال الضال الأول . ونسج على منواله الضالون الى وقتنا هذا فى كتبهم ومؤلفاتهم فلن يحيد واحد منهم عن هذا المبدأ .

نقول له : لو اعتبرت تنجيس روحك باستيعابها الأمعاء والمخرجين لكان الأمر كما تقول . ولو اعتبرت تجرد روحك وانفصالها ومباينتها للحرارة التى فى جسمك لجاز ذلك على الله تعالى كما تقول ، وكيف تضل فى قول الموحدين : قيوم السموات والأرض . ولا يخفى ما فيهما من الحرارة النارية والكهربائية التى لا تنفك عن السموات والأرض ولا صلاح لهما بدونها . فهل تمنع قيام الله تعالى بتلك الأجزاء النارية مخافة أن يحترق كما تقول بعدم وجوده فى الأرض مخافة التلوث بالنجاسات ، فاذن أنت تنكر قيوم السموات والأرض مخافة النار والنجاسة وهل تدرى كافرا أشد كفرا ممن ينكر وجود قيوم السموات والأرض مع اتصافه تعالى بالصفات الكمالية القائمة بذاته تعالى على التحقيق . ثم كيف تقول بصفة الرحمة ولا تقول بصفة الغضب أيها الرائى ؟ ما هذا الا مبدأ ابليس اللعين الذى اعترض به على الله تعالى قديما . أنت تأكل الطعام والشراب باردا . فمن أين النار فى جسمك التى تنحول بها المأكولات من قالب الى قالب ان أمرك لعجيب .

نرجع ونقول له فيما يستدل به على عمى بصره وبصيرته وتعويله على الظاهر المشاهد فى الأمور كلها للمرئيات لهم ؛ هل تؤمن بأن اللبن الذى هو نازل من الثدى هو خال من الزبد ؟ فلا يسعه الا أن يقول : الزبد فيه . فنقول وهل تراه ؟ طبعا كلا . وأيضا الحبوب والبقول والخضر والفاكهة هل تنكر أن فيها دهنا منه غذاء جسمك وقوامه ؟ طبعا لا . فهل رأيت الدهن فى شىء منها ؟ طبعا لا . وأيضا هل ترى

الهواء الذى أنت تعيش به وبه قوام صحتك وحياتك ؟ طبعا لا . فاذا كنت لا ترى هذه المخلوقات للحق جل وعلا فهل تريد رؤيته فى كل مكان حتى تؤمن به ؟ وتكون مع المؤمنين الناجين القائلين بوجوده تبارك وتعالى فى كل مكان وزمان وبه وجود المكان والزمان . وما هما الا من خصائص الموجودات ولا تعرف الموجودات الا بهما . وخاصة ارتباط بعضها ببعض بالرقائق التى اقتضتها الحكمة وحسن الاختيار . فتبارك الله أحسن الخالقين.

على أن الآدميين خلقوا من المادة وبها وفيها يعيشون ، وهم بها محجوبون عن ادراك الموجودات من الروحانيات ، واللطائف الربانيات المخلوقة له جل وعلا فى مكوناته ولم يكمل تكوينها الا بذلك ولم تحصل الفائدة الا بما فيه مما لم يشاهد . وهل يفكر فى رؤية ربه من هو محجوب بالمادة التى بها وفيها يعيش — ولم ير فى هذا الوجود غير المرئيات من المخلوقات مثله وقد أمره تعالى أن يؤمن بما لم يره فى كتابه العزيز من الملائكة والجن والروح والحفظة والكرام الكاتبين وهو لم يرهم وهم خلق مثله فبالأجدر أن يؤمن بخالقهم حيث أمر وان لم يره .

اللهم الا أن يكون ممن خلقهم الله تعالى على الفطرة والتكوين الخاص الالهى من عباده الذين يجبلهم على معرفته تعالى من حين التكوين . فمثل هؤلاء لا يحجبون عن ادراك اللطائف الربانية من العوالم الروحانية . ولا يخفى عليك أن الله تعالى القادر المنوع فى التكوين للموجودات لم يجعل هؤلاء على حالة واحدة .

بل منهم من لا يشاهد الا العوالم السفلية من الجماد والنبات والحيوان . فتجده دائما مستغرقا فى مشاهدة آثار صفات الحق جل وعلا فيها من التغيرات والانتقالات والتصورات والادراكات من الحركات والسكنات فى الأمور المتقابلات والمتضادات .

ومنهم من يشاهد هذه وهى عنده بديهية ضرورية . ولا يستغرق الا فى مشاهدة العوالم الملكوتية وما فيها من الاجـرام الفلكية . وما أحيطت به من العجائب الربانية وخاصة الأنواع المتنوعة من الملائكة الروحانية وغير ذلك من العجائب الالهية .

ومنهم من عنده هذه وهذه بديهية ضرورية وما هو الا فى مشاهدة المقام الأسمى ، والقرب الأعلى ، والدنو الأجلى ، وهو مشاهدة جمال وجلال الحق جل وعلا . وهنا اللذة الكبرى التى ليست بعدها لذة ، وهذه هى الحظوة التى ليست بعدها حظوة ، وهى غاية الغايات ، وأقصى وأعلى الدرجات .

ومن هنا تعلم أن مقام القرب ، والجذب ليس بالجد والاجتهاد . ولا يحظى به كل مخلوق بل هو بمحض فضل الله وكرمه (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ولا ينكر ذلك الا كل من قصر عقله عن ادراكه ، وقعد به الكسل والانحطاط عن البحث فى حقائق الدين من الكتاب المبين وبيان سيد المرسلين الذى فيه بيان كل ذلك .

فان قال قائل ممن طمس الله بصيرتهم . كيف يكون حال هـذا المستغرق المشاهد عند قضاء الحاجة مثلا . ومع النسـاء . والأكل . والشرب . أين تكون تلك الحالة ؟ وهو متلبس باحدى هذه الأحوال ؟

نقول له : ان الذى ذكرت من الأحوال البشرية وجريانها على المأخوذ ، المجذوب ، المشاهد ما هى الا كالطبيعة البشرية فى تنقل الأفكار فى الأذهان وتقلبها من حالة الى حالة .

أفهل تنقل وتقلب الأفكار للشخص مخرجة له عن طبعه البشرى وحالته التى هو بها مع من يراه .

وان تشأ فقل ما هى الا كحالة النوم للنائم فلو شغله القرب والجذب

والأخذ بالحب فى الآخذ الجاذب عن النوم لخرج به عن الطبع البشرى والتكوين الآدمى وليس كذلك ولا قائل به : قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح المشهور فى المواصلة فى الصوم « لست كأحدكم انما أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » .

هذا ولا يخفى بل لايلتبس عليك . أن سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم كان أكبر المشاهدين ، وأعلى درجات المستغرقين ، بل منه وعنه يؤخذ ذلك . وما هو الا مستفاد من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تنس حديث « أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ » وصدر الرواية « قام الى خشبة معروضة بالمسجد كالغضبان » ولا تنس قوله الشريف « لم أنس ولكن أنسى لأسن » ولا يخفى عليك قوله الشريف « أحق ما يقول ذو اليدين ؟ » والسنة ملأى بمثل هذا . وكذا اخوانه الأنبياء والمرسلون . ولا تنس ما ثبت فى الصحيح مما صدر عن سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم حين سأله جبريل عليه السلام . وهو مقذوف فى النار . وقال له : هل لك حاجة ؟ فقال منك ! قال : من الله . فقال : علمه بحالى يغنى عن سؤالى . وهكذا كل من كان فى هذه الأمة على قدم سيد العالمين فلا يشاهد الأفعال فى الحقيقة الا من الله تعالى . وهاك الصديق رضى الله تعالى عنه . وقدسئل فى مرضه . فقيل له : هل دعوت الطبيب ؟ قال : نعم . فقيل له : ما قال لك ؟ قال : قال لى انى فعال لما أريد . وها هو عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه وقصة الجبل .. يا سارية الجبل .. المشهورة يقول الراوى عنه بينما يخطب الناس على المنبر . وقد تغير وخرج عن حالته الطبيعية . وقال مقالته المشهورة . راجع حلية الأولياء لأبى نعيم ترى العجب العجيب (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

الله علم على الذات الأقدس جل وعلا

قد أجمع عقلاء الأمة الاسلامية سلفا وخلفا على أن الاسم الشريف « الله تعالى » علم على الذات الأقدس . الواجب الوجود . المستحق لجميع المحامد . كما هو مقرر فى محله على سبيل علمية الشخص على التحقيق . وان كان لا يجوز أن يقال ذلك الا فى مقام التعليم .

وهذا الاسم الشريف أشرف أسمائه تعالى بناء على ما هو المختار . قال تعالى (هل تعلم له سميا) (وكلمة الله هى العليا) قال أهل التحقيق هى لفظ الجلالة . ولا نطيل الكلام فى المشهور . وكفى أنه أخص أسمائه تعالى وكلها بالنسبة اليه صفات له تعالى وقد أرشد سبحانه وتعالى عباده أهل الخطاب بالشريعة الى معرفة صفاته تعالى تفصيلا واجمالا لكى يعرفه كل بقدر استعداده . وقد عرف تعالى نفسه بالصفات لما سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم بقولهم : صف لنا ربك يا محمد . فقال تعالى (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) وقال تعالى (الله الذى أحسن كل شىء خلقه . وبدأ خلق الانسان من طين) (هل من خالق غير الله) (قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) (ان الله لغنى عن العالمين) (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وهكذا من الآيات التى بين فيها سبحانه وتعالى صفات الذات ، والصفات النفسية ، وصفات المعانى ، والصفات المعنوية ، وصفات الأفعال . وهكذا حتى لقد اشتمل ثلث القرآن على آى التوحيد خاصة مفصلا ومجملا . والمجمل الذى جمع فيه المفصل كقوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) (الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة

ولا نوم) الآية . (الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق) ومن عظيم حكمته جل وعلا أن جمع جميع المفصل والمجمل فى كلمة واحدة التى بدأ بها تبارك وتعالى بشهادته لنفسه بنفسه (شهد الله أنه لا اله الا هو) واختتم بها جميع ما أجمل فى قوله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله).

فمن هنا تعرف أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى شرع ذلك لعباده اجمالا وتفصيلا وأرشدهم الى النظر فى ذلك . ولذا وجه رغبات الكثير ممن أهلهم لادراك ذلك من جهابذة الأمة وخيـــارها فرأوا أن الأمر بالتوحيد حكم شرعى والزام الهى على عباده يعملوا على تفهمه وتدوينه وتسميته « علم التوحيد » الذى هو الغاية القصوى من هذا الوجود وردوا فيه شبه المارقين ، وأبطلوا فيه عقائد الضالين والزائفين ، ببراهين يقينية عقلية مستفادة من الأدلة النقلية . بعد أن تحققوا من أن تقديم الأمر فى قوله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) ايذان بمزيد شرف التوحيد فانه أساس الطاعات ، ونبراس العبادات . ومن هنا تعرف شرف علم التوحيد ، وأمر الحق عز وجل به عبادة ، والزامهم القيام بتبينه ومعرفته .

وقد قدمنا لك أن الوهابية ومن على مبادئهم وشاكلتهم من القاديانية والبهائية والاسماعيلية واليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرهم ينكرونه ويذمون الاشتغال به تلك الفرق التى تضاد أهـــل الحق (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) .

لا إله إلا الله

اعلم أن « الله » الذى لا اله الا هو بمعنى الاله . والاله هو الذى يوله له ، ويرجع اليه فى كل شىء . فيكون معنى الاله بحق هو المستغنى عن كل ما سواه ، المفتقر اليه كل ما عداه . واذا كان معنى الاله ما ذكر

كان معنى . لا إله الا الله . لا مستغنى عن كل ما سواه الا الله تعالى .
والمشهور أن معنى الألوهية . كون الاله معبودا بحق . ويلزم من ذلك استغناؤه عن كل ما سواه .

فاذا علمت ذلك علمت أنه اندرج فى استغنائه تعالى عن كل ما سواه هذه الصفات العشرون . التى يجب على كل مكلف معرفتها مع أضدادها. وهى الوجود . الذى هو أول واجب للاله المستغنى عن كل ما سواه . وكذا يلزم من كونه موجودا واجب الوجود . القدم له والبقاء . والمخالفة للحوادث . والقيام بالنفس . أى لا يحتاج الى محل ولا الى مخصص . والوحدانية . ومن وجبت له هذه الصفات وجلت له القدرة المطلقة . والارادة التامة والعلم الشامل المحيط . والحياة . والسمع . والبصر . والكلام المنزه عن المماثلة والمشاكلة لما وجد منها فى المخلوقين . ويجب له تعالى أيضا لازم كل صفة من السبعة المتقدمة ولزوم القدرة كونه تعالى قادرا . وكذا مريدا . وعالما . وحيا . وسميعا . وبصيرا . ومتكلما : كل هذه الصفات جاء بها القرآن مفصلة ببراهينها الموجبة وأدلتها المثبتة على وجه تخضع له العقول وتذعن له الأفهام ولو انتفى عنه تعالى شىء منها لذهبت الألوهية ولما استحق العبادة بحق . ولما أمكن أن يوجد شيئا من الحوادث لكن عدم امكان ايجاد شىء من الحوادث باطل لمصادمته للحس والمشاهدة فى خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ومصادم الحس البديهية بطلانه غنى عن الاعلان والتنبيه .

فاذا عرفت هذا ، عرفت أن الكلمة الشريفة وهى لا اله الا الله جمعت جميع عقائد التوحيد اذ معناها أن لا مستحق للعبادة الا الله تعالى وحده وهو يوجب نفى الألوهية عن كل ما سواه كما هو منطوق الحصر المستفاد من النفى والاثبات وهذا يستلزم بالبداهة توحيد الذات والصفات والأفعال .

واذا تبين لك دلالتها على جميع عقائد التوحيد لاح لك أن الشارع الشريف لأمر ما جعلها مفتاح الاسلام . وأساس الدين . وهداية الأنام من انس وجن وما فوق ذلك من عالم الملأ الأعلى وما يتصل به من عالم الروح القدس وبهذا ينكشف لك سر قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله » والدليل على أنها جمعت مراتب التوحيد الحديث الذى خرجه أبو نعيم عن عياض الأشعرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا اله الا الله كلمة كريمة ولها عند الله مكان جمعت وسولت من قالهاصادقا من قلبه دخل الجنة » فيؤخذ من بيان من لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم انها جمعت جميع مراتب التوحيد للحق عز وجل فى الذات والصفات والأسماء والأفعال . هذا وحديث البطاقة المروى عند أصحاب السنن والمسانيد أشهر . من أن يذكر .

وبالجملة أن لها فضائل لا تحصى ، ومنافع فى الدين والدنيا والآخرة لا تستقصى . وانها لتوصل قائلها بالاخلاص الى المقام الأقصى — وقد ألفت كتب فى فضلها ، وكيفية النطق بها فى الذكر ، وآداب استعمالها ، فلا نطيل الكلام هنا فليراجع فى محله .

فيا أخا العقل ، أيليق انكار هذا العلم الموصل العقول الى معرفة صفاته التى هى أساس العلوم والهدايا ومناط التكاليف والشرائع وهو علم التوحيد الذى أطبق السلف والخلف على وجوب دراسته صونا للعقائد من طعن الطاعنين وشبه المبطلين . ثم هل يليق القدح البذىء فى علم التوحيد وذم المشتغلين به من سلف الأمة وخلفها بمثل ذلك الهراء الذى لا ينفك عنه دعاة الوهابية الضالين وهم الغمر البلهاء والخرق السفهاء (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) .

للمتكلمين فى التوحيد مذاهب

من الواجب علينا قبل كل شىء أن نبين ما هو وجه الخلاف بين المتكلمين . وما سبب تشعب آرائهم فى الطريق الموصلة الى معرفة الله تعالى وان كان الكل موصلا الى الغرض المطلوب فى المعرفة التى ورد بها الأمر الالآهى فنقول ان الله تعالى لما أمر عباده بتوحيده جل شأنه . وجعل ذلك فرضا أوليا . وحكما شرعيا . بل هو أهم الأحكام الشرعية وأساسها الذى تدور عليه . ومرجعها اليه . وهو غاية الغايات فى الوجود والأنعام لم يقصرهم فى الفهم على طريقة واحدة ونظر واحد بل تكرم سبحانه على عباده فجعلهم أنواعا مختلفة فى الفهم والادراك . وجعل الطرق الموصلة الى معرفته تعالى متعددة ومسالك متنوعة فى النظر والفهم كما يشير الى ذلك تنويع البراهين وكثرة الآيات ومثل ذلك فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم ليأخذ كل من المطالبين بمعرفته عز وجل على قدر استعداده وسعة مداركه . ولذا قال بعض المحققين : ان سألت عن أسمائه فقد قال (ولله الأسماء الحسنى) وان سألت عن صفاته فقد قال (قل هو الله أحد) الخ السورة وان سألت عن أقواله فقد قال (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) . وان سألت عن أفعاله فقد قال : (كل يوم هو فى شأن) وان سألت عن نعته فقد قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وان سألت عن ذاته فقد قال تعالى (ليس كمثله شىء) .

ولعله قد اتضح لك مما أسلفنا أن الله تعالى هو الذى نوع غرائز من حفظ بهم دينه . وثبت بهم قواعده . وشيد بهم بنيانه .

فمنهم من جعل علم التوحيد مقصورا على ما اشتملت عليه كلمة « لا اله الا الله » من الصفات التى لا تتحقق معرفة الاله المعبود بحق الا بها . وجعلها سهلة المأخذ للعامة . وهى الصفات الالهية .

ومنهم من نظر اليها من حيث انها عقيدة . ولا يتحقق الايمان الا بها . فضم اليها باقى ما يجب على كل مكلف اعتقاده من السمعيات .

ومنهم من أثبت لكل صفة من الصفات لازمها دائمة الأفعال . والأضداد . وبرهن على ذلك بالأدلة العقلية والنقلية . ليرقى بذلك طالب العلم الى حد يمكنه به اقامة البراهين على ذلك . لتقوى الحجة وتنقطع الخصومة .

ومنهم من وسع فى النظر والاستدلال وجعله شرطا فى الحصول على معرفته تعالى بقدر الطاقة البشرية .

ومنهم من ضم الى ذلك المطالب العالية والمواقف الهامة وذكر كل ما يرد عليها . ودفع الشبه التى عساها أن ترد حتى وصل بها الى حد الفلسفة فى الكلام ثم دونوا كل ذلك وحفظوه بمراتبه وتطوراته جيلا بعد جيل وسموه علم التوحيد وعلم الكلام وأضحى موردا عذبا لكل طالب على اختلاف درجاتهم ومراتبهم فى طلبه وتعاطيه حتى اذا ما جاء القاصد الراغب فى أى مرتبة من مراتب التوحيد وجد غيره بتوفيق الله تعالى قد مهد له السبل . وما عليه الا أن يرد ويتدبر ويفهم أن من وفقهم الله تعالى للقيام بتدوين هذا الفن العظيم . هم أئمة نجباء أفاضل عظماء منتقون قد نشأهم الله تعالى على هذا الاستعداد . كما وفق وقيض لكل فن رجالا مما يحتاج اليه فى فهم كلام رب العالمين حتى لا يحتاج الدين الاسلامى الى شىء من البيان فى أصوله ومستلزمات فروعه ليتحقق قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وهذا الحفظ بلا مراء انما كان بتوفيقه رجالا من خيرة هذه الأمة أقامهم حراسا أمناء يحفظون أصوله وفروعه ويدفعون عنه مكايد الشيطان وحزبه كما قال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وهذه هى سنة الله تعالى فى خلقه .

لأنا وجدنا أن الله تعالى يقيض فى كل زمان رجالا يقومون بجميع مايحتاج اليه بنو البشر . برغبات شديدة وتوجيهات عظيمة متلذذين لا ينصرفون عما يعملون . حتى يقضى الله تعالى لهم أمرا كان مفعولا . فترى الصانع والمنتج والتاجر المدبر والعالم العامل كل يعمل برغبة شديدة لا يعدل عما هو فيه بجد واجتهاد كأنه مسوق الى ذلك بالقوة والقهر . وفى الواقع أنه مسوق بمعنى ميسر لما خلق له . لما سبق فى علم الله تعالى وكان ذلك بمقتضى تكوينه فتجده منكبا على ما خلق لأجله مستعذبا ذلك أيا كان ليؤدى به عملا ظاهرا فى الحياة الدنيا لينفع به غيره (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وقال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

واعلم أنه من نظر بعين اليقين وجد أن الذى جعل التوحيد مراتب . انما هو الله سبحانه وتعالى — كما هى سننه عز وجل فى جميع الأحكام التى شرعها لعباده تسهيلا لهم ، وتخفيفا عليهم ، ورحمة بهم (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) وعليه بيان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . اذ بين لنا أن أقل ما يثبت به الايمان . اثبات الكمال لله تعالى . واستحالة النقص عليه تعالى . وهو المثل الأعلى الذى رضيه تعالى من عباده . فقال تعالى : (وله المثل الأعلى) وقد رضيه الذى لا ينطق عن الهوى فى حديث الجارية المشهور . وحديث الاعرابى . وعليه فقد فتح باب المثل فى الحديث المشهور « أن تعبد الله كأنك تراه » الحديث . وقد رضى صلوات الله وسلامه عليه فى بيانه الشريف قبول ايمان من قال « لا اله الا الله » بدون نظر ولا استدلال . ومنه ما يحتاج فيه الى نظر واستدلال وذلك لأنه لا يحسن تصديق الا بعد تصور قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وهم الذين يتدبرون الأشياء على

ما ينبغى . لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا هذه الآية قال : —
« العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه » واذا كان العالم الذى يطلق عليه هذا الوصف لا يتعقل معرفة الله تعالى . ولا يتدبر الآيات الدالة على معرفته . فكيف يكون عارفا بالله ؟ انما العارف من عقل كل شىء على ما ينبغى . اذ من العباد من لا تحصل له المعرفة بالله تعالى . ولا يثبت لديه اليقين الا بعد اقامة البراهين العقلية والنقلية والوقوف على معرفة الأسباب والمسببات . وضرب الأمثال . وهكذا حتى يدب اليقين فى قلبه ويخرج الشك منه . ويشرح الله تعالى صدره بنور معرفته فيصبح من الموقنين . ومن هذا تعرف أن التوحيد ليس على حالة واحدة . بل هو مراتب . وأيضا الايمان وكل ما يدرك كذلك . وبهذا جاء القرآن قال تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ولا شك أن أول ما يدعو اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هو توحيد الله تعالى . والتعرف اليه عز وجل . وذلك ببيان آياته تعالى الدالة عليه وشرح آثار قدرته الهادية اليه بضرب من الحكمة البالغة المتمثلة فى ارشاداته عليه الصلاة والسلام ثم بالموعظة الحسنة التى تلقى النور وضياء الحق على القلوب فى رفق الحكيم وعطف الودود الرحيم . هذا وان شئت قلت ان الدلائل التى نصبها الحق عز وجل على معرفته . وهى آثار الصفات كثيرة غير منحصرة . فكذلك كانت أفهام الباحثين لم تقف عند حد . بل أدى كل بقدر ما فهم . وبما وسعه من العلم والادراك . والمعرفة فى ذلك . وان تشأ فقل ان موجد الكائنات جل وعلا عالم بما سيكون من أمر المخالفين المضلين ومورِدى الشبه فى كل جيل وزمان . فأنزل القرآن مبينا لأحوالهم شاملا لهم فى كل جيل

وزمان . ليتحقق معنى قوله تعالى (تبيانا لكل شىء) (وتفصيل كل شىء) (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) .

الله خلق الموجودات على معرفته بالفطرة

من المعلوم عقلا ونقلا أن الموجد للكائنات هو الحق عز وجل . وأن الكائنات هى آثار صفاته تعالى التى لا تتناهى . واشراق أنوار أسمائه سبحانه ولا شك أن أثر الشىء هو ما يظهر عنه فى الوجود ضرورة اذ لا يعقل وجود أثر مجردا عن مؤثره خياليا عنه غير مشتمل على الشىء من أسرار مؤثرة والا انقطعت صلته بالمؤثر فتنعدم فائدته وهذا لا شك بديهى البطلان لما نشاهده فى العوالم العلوية والسفلية من أسرار المؤثر كالوجود والقدرة والارادة والعلم والحياة وغير ذلك مما هو من صفاته الثابتة له تعالى وبديهى أن آثار الصفات شاهدة عليها ناطقة بها فوجود المكونات ناطق بوجود المكون الخالق وما فى الخلق من قدرة وارادة وعلم وحياة وسمع وبصر وغيرها من الكمالات يوجب ثبوتها للخالق على نحو أرقى ووجه أكمل من وجودها فى المخلوق اذ هى فى المخلوق منح وعطايا قابلة للتغير والزوال ولكنها فى الخالق لوازم عقلية لا تنفك ولا تعقل الذات بدونها .

وقد قام البرهان العقلى على أن وجود هذه الآثار التى هى الآيات قد خلقها الله تعالى لحكم لا تحصى . وفوائد لا تستقصى . والا لزم عليه بطلان ذلك . وقد قال تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) .

فمن تدبر بعين البصيرة . وجد آن ما من كائنة فى الوجود من جميع العوالم الا وتعرف الله تعالى بأنه هو المبدع لها علوية كانت أو سفلية

(وان من شيء الا يسبح بحمده) ولا يسبح الا العارف بخالقه الحي ولو ميتا في قبره . (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ومن المعلوم أن الميت شيء ولو كالرماد . حتى من لم يؤمن بالأنبياء لا ينكر معرفة الله تعالى . (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) .

فاذا عرفت هذا فقد بان لك أن مبدع الكائنات جل وعلا هو المعرف لعباده ، الملهم لهم ، الفياض عليهم . وقد خلقهم على معرفته تعالى . وقد أخذ عليهم العهد والميثاق وهم في عالم الذر وقد سبق علمه تعالى بأن منهم من لم يرق ولو بالنظر للمعرفة ولو لأقل درجة من درجات الكمال بمقتضى تكوينه له (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) ولاشتمال الخلق على ما هم عليه من أسرار التكوين وآثار الصفات لا يجهل منهم أحد معرفته تعالى بالفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه » رواه البخاري ومسلم . ثم ان الله تعالى جعل من الكائنات ما لا يرقى بالاستعداد في تكوينه الى المعرفة المكتسبة بالنظر والاستدلال وبقي على حال الفطرة كالجماد والنبات والحيوان الأعجم وسائر من لم يرزق عقلا مفكرا ومنهم من رزق عقلا مفكرا ولكنه درج على سنة البهائم والجمادات في عدم النظر والاستدلال الموصل الى المعرفة البرهانية وهم الكفرة ومن على شاكلتهم من أهل الغفلة والاعراض عن الحق ومنهم من وفقه وجعل في تكوينه الاستعداد الكافي الذي عرف به الخالق الأكبر وفطن للأدلة النقلية والعقلية على وجوده

تعالى . واثبات كل كمال له عز وجل . واستحالة كل نقص عليه . وجعل جل حياته النظر فى ذلك . وارتقى بتلك المبادىء حتى وصل الى مقام القرب والاحسان . اذ ما من كمال الا وعند الله أكمل منه (وللآخرة خير لك من الأولى) (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (ويزيدهم من فضله) .

ولا يخفى عليك أن المؤمن يرقى عند الله تعالى بالطاعة الى المعرفة وهى الغاية المطلوبة من هذا الوجود . وأن الكافر ينزل فى الشقاوة الى أسفل الدركات وأحط المقامات . (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) ومن هنا تعرف أن الصانع المبدع قد جعل العقلاء من المكونات على حالتين . وجعل كل واحد منهم يطلب التدرج فيما هو بصدده الى المنتهى .

ولا تنس أن الذين عرفوا الله تعالى بهذه الأدلة عرجوا على ارشادات الرسل عليهم الصلاة والسلام . ففهموا بها أسرار المكونات للحق عز وجل فدرجوا الى أوج الكمالات والمعالى فأصبحوا (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

ولا يخفى عليك أن منهم من خلقهم الله تعالى على المعرفة . فنشأوا عارفين لله تعالى . وليس لهم عمل فى هذه الحياة الا الطاعة لربهم (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) .

ومنهم من لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . هذا من الملائكة . ومثلهم من الآدميين . (وما فعلته عن أمرى) ومنهم من خلقوا للمشاهدة والنظر لوجه الكريم من الملائكة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ومن الآدميين أيضا (يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) .

فانظر صنع المبدع الجليل البارى الكبير . الذى جعل كل شيء أنواعا . وفى كل شيء خصوصيات . ومزايا (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (الذى أحسن كل شيء خلقه) (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

الفصل الثالث

فى أن الأنبياء والمرسلين هم المثل الأعلى فى معرفة رب العالمين

أعلم أنه مامن نبى ولا رســول دعا قومه لتوحيد رب الأرباب . الا سأله قومه عن رب العالمين الذى يدعو اليه .

فكان جواب الجميع واحدا لايخرج عن نمط واحد . وهو تعريف رب العالمين اليهم يذكر صفاته . ونعوت ربوبيته .

وهاكم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام (اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) فهذا الخليل أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . الذى سماه الحق عز وجل بأبيكم ابراهيم فى قوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وهو الذى أقام البراهين العقلية على قومه التى ارتضاها الحق عز وجل بأن تكون منهاجا لعباده فى قمع الخصم الألد . وقطع لسان العدو الأبى . فقال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) فأنت ترى الجليل الكبير مع ما هو عليه من عظم المكانة فى معرفة ربه لما سأله قومه وقالوا أجئتنا بالحق الخ أجابهم عليه السلام معرفا لهم بآثار صفاته تبارك وتعالى

فى جميع مكوناته بقوله (رب السموات والأرض الذى فطرهن) أى خلقهن . ولثقته عليه السلام بآثار صفات ربه قال لهم فى موضع آخر فيما اختص به سبحانه وتعالى دون غيره من خلقه بقوله (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين) .

فها هو عليه السلام لم يجب قومه بشىء مما يشبه صفات الحوادث ولا نسب اليه تعالى شيئا من ذلك . بل كان تعريفه لقومه . وبيانه لهم عن البارى جل وعلا بآثار الصفات .

وها هو سيدنا موسى عليه السلام أيضا قال لفرعون (انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) .

فترى سيدنا موسى عليه السلام ذكر لفرعون المستفهم عن حقيقة رب العالمين . الصفات التى بها يمتاز عن سائر الموجــودات . والتى يستحيل فيها المشاركة .

وعلى هذا النمط درج جميع الأنبياء من لدن آدم فى تعريف رب العالمين بالصفات الكمالية . والنعوت الربانية . من الملك والسلطان . والقهر على السموات والأرض وما فيهما أجمعين من الأولين والآخرين ولا ترى فى جواب واحد من الرسل الكرام ذكر جوارح . أو أعضاء . أو صفات فيها مشاركته تعالى لغيره من الموجودات وبهذا تعلم مبلغ ضلال من جنح وشذ فى تعريف رب العالمين عن جادة الأنبياء والمرسلين

الى اختراع الجوارح والأعضاء وصفات الخلق من الحركة والصعود والنزول والقيام والقعود والجلوس فى الأمكنة المختلفة . يعرف بها ربه للناس اتباعا للمتشابه نابذا للمحكم الصريح معرضا عن سنن الأنبياء الذين هم أهل المعرفة والتوحيد . وها هو سيد العالمين الذى أعطى من السعة العلمية فى المعرفة ما لم يعطه غيره من اخوانه الأنبياء والمرسلين .

اذ ما من نبى ولا رسول أرسل لقوم الا وقد أعطى من السعة العلمية بقدر ما يسع الخلق المرسل اليهم (سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا) . وما من نبى ولا رسول الا وأرسل لقوم مخصوصين الا سيد العالمين فقد أرسل للناس أجمعين (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .

فبهذا تعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أوسع الأنبياء والمرسلين شرعة ومنهاجا . وان كتابه جامع لجميع الكتب السماوية الذى ما ترك الحق عز وجل شيئا من مكوناته الا وذكره فيه من المبدأ للمعاد . وأخبر عز من قائل فيه بذلك (تبيانا لكل شىء) (وتفصيل كل شىء) (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقد أعطى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بيان ما فى ذلك . كما أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى . عند أصحاب الصحاح (ألا وانى أعطيت القرآن ومثله معه) وفى أخرى « وعشرة أمثاله » الحديث وهذا سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما هو عليه من بعض ما قدمنا . قد سئل عن ربه جل وعلا من اليهود والمشركين بقولهم له صف لنا ربك يا محمد . وكان من عاداته الشريفة صلوات الله وسلامه عليه اذا سئل عما يكون تشريعا للعباد . وتأسيسا لهم فى العقائد وقواعد الدين وتشريع الأحكام مما يحتاج اليه بنو البشر من المبدأ الى المعاد . ولما يسود عليه الأمر الذى يكون قاعدة لكل

ما يقاس عليه من مستحدثات الزمان . ولما كان يعلم صلى الله تعالى عليه وسلم من أسرار الوحى من أن أقواما من أمته ينكرون بيانه الشريف ، أو يطعنون فى بعض الأسانيد الموصلة اليه كما قال عنهم صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند الامام أحمد « رب رجل شبعان متكىء على أريكته يقول ما لنا وللسنة هذا القرآن نأخذ منه ونعمل بما فيه ولا حاجة لنا فى السنة ألا وانى أوتيت القرآن وعشرة أمثاله » فمثل هؤلاء لم يخف أمرهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان كما قال الله عز وجل فيه (وما ينطق عن الهوى) فيثبت لهم بالدليل القطعى السماوى صدق بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم . ففى مثل سؤالهم هذا نزل قول الحق عز وجل (قل هو الله أحد) السورة .

فالخالق الأكبر ، والمتعالى الأعظم ، بين لعباده الصفات ولم يبين لهم حقيقة الذات . كما هو بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم . ومنه ما رواه الامام أحمد والترمذى أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقالوا يا محمد صف لنا ربك ؟ فنزلت السورة . وعن ابن عباس أيضا أن المشركين قالوا صف لنا ربك يا محمد ؟ فنزلت السورة . وفى رواية أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ان الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار . وان الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق. فانه لا تحيط به الفكرة » وفى الحلية لأبى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » وفى أخرى « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » .

هذا بيان المشرع الشريف صلوات الله تعالى وسلامه عليه فى تعريفه لربه جل وعلا . فهل رأيت فيه ذكر شيء من الجوارح والأعضاء والمكان والحركة والسكون ؟ أو هو على وفاق القرآن الكريم ؟ . بل حذر الأمة كل الحذر والمنع عن الخوض فى معرفة ذات الخالق جل وعلا على غير ما شرع وهو الذى ليس له مثيل حتى نتوصل من معرفة ذلك المثيل الى معرفة العظيم الجليل . وهذا معنى قوله تعالى (ليس كمثله شيء) وعلى هذا البيان الشريف دأب خيار الأمة سلفها وخلفها من صدر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الى وقتنا هذا بل الى يوم الدين ان شاء الله . كما علمت أن الحق والضلال مستمران الى يوم الدين ولأجل أن تكون على بينة من ذلك فلنذكر لك نبذا قليلة عن بعض الصحابة فى تعريف الحق جل وعلا . ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

فلله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن الجميل على ما أكرمنا به من فضله وكرمه ببيان كل ذلك وتوضيحه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ، أوله « الصحابة يعرفون رب العالمين للناس أجمعين » .

عبد ربه سليمان

من علماء الأزهر الشريف

فهرس الجزء الثـانى

من كتاب فيض الوهاب

الموضـــوع	صحيفة